صلاح الدين الغزال

صداع المشمش

رواية





صداع المشمش

صلاح الدين الغزال

الطبعة الأولى 2010

الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع

سوريا . اللاذقية

تصميم الغلاف: ناظم حمدان

الإهداء

إلى الذين أصيبوا بصداع المشمش وهو داء رهيب يصيب العرسان أثناء الاستعداد لحفل الزفاف.

صلاح الدين الغزال

2009/1/1م

[1]

اللقاء الأول

جلس عز الدين مع صهره الجديد عدنان ينتظر خطيبته التي لم يسبق له رؤيتها ولم يكن يعلم أن طيفها سيلاحقه حتى آخر لحظات حياته.. كان مضطربا بعض الشيء.. لأن الأسلوب الذي قامت على أساسه هذه الخطبة يعتبر أسلوبا باليا وغير متبع.. من كان يصدق أن عز الدين الشاعر الرومانسي يتزوج بهذه الطريقة الكلاسيكية من فتاة لم يسبق له رؤيتها ولم يسبق لها رؤيته.. لقد طلب شقيقها عدنان منه مشاهدتها أولاً قبل التقدم لخطبتها فقد لا تعجبه.. ولكنه أبى وأجابه قائلا: "أنا أريد أن أشتري عائلة".. كان الأبله يظن نفسه في زمن الجواري والعبيد.. يريد شراء عائلة من سوق النخاسة.. لقد دله على هذه الفتاة صديقه مجدي.. وهو زوج شقيقتها آمال.. وقد بذل مجدي قصارى جهده من أجل إتمام الزواج الميمون.. أخبره أنها تنحدر من عائلة راقية وأنها جميلة ولم يأل جهدا في إقناعه.. ونظرا لثقة عز الدين بصديقه لم يقم بالسؤال عنها وعن أهلها.. وأرسل الرجال قبل النساء ليدفعوا المهر ويتفقوا على الشروط.. وبعد إتمام الاتفاق بين الرجال غزيري شعر اللحى وطويلي الشوارب حدث أن نسوا قراءة فاتحة الطيب.

تم كل ذلك دون حضور أعمامها وأخوالها وهذا الأمر يعتبر غير طبيعي ولكن لم يعقب أحد ومضى كل شيء بسلام.. بعد ذلك كانت

زيارة النساء.. حيث قامت عائلة عز الدين بقضها وقضيضها بزيارة بيت خطيبة ابنهم في جو حميمي غمرته الزغاريد.. وكان السرور باديا على وجوه الجميع وخاصة العروس التي قامت بالذهاب إلى المزين وقصت شعرها على أحدث الموديلات وكلها أمل بأن تتخلص من شبح العنوسة المرير.. وقد غمر المسكينة الفرح رغم أنها لم تشاهد خطيبها سوى في الصور عبر الصحف والمجلات لأنه كان شاعرا وله عدة نصوص مبعثرة هنا وهناك.

العروس تدعى نجلاء ولها شقيقتان أكبر منها تدعيان منال وآمال وأخرى أصغر منها تدعى جمانة ولها شقيقان هما عدنان ورفعت.. وقد أخبره أهله عندما قاموا بزيارتها بأنها طيبة وهادئة وجميلة وتستحي من ظلها وهو يثق في رأيهم ورأي صديقه مجدي.

كان أخوها عدنان – الذي يجالسه الآن – شابا طيبا يعمل بالدفاع المدني ومهمته إخماد الحرائق وهو متزوج ويقيم في شقة مستقلة بحي السلماني في نفس المدينة.. أما شقيقها رفعت فقد قام منذ فترة قريبة بخطبة إحدى زميلاته في العمل وزفافه سيكون قريبا جدا وقد يتزامن مع حناء نجلاء.

بينما عز الدين يتبادل مع أخيها عدنان أطراف الحديث إذ فجأة وهما في قمة الانسجام دخلت فتاة قبيحة المنظر.. غير مرتبة الملامح.. ترتدي بذلة مشمشية اللون.. جبهتها كبيرة ومجردة من الشعر وتبدو مسنة بعض الشيء.. سلّمت عليه فاعتقد أنها شقيقتها

وأنها ترغب في أن تدخله إلى صالة البيت لتعرفه بخطيبته.. ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان فقد جلست تلك الفتاة قبيحة المنظر وخرج أخوها ليتركهما سويا مع بعضهما وجها لوجه.

كان وجهها أشبه بالرئة الحمراء المنتفخة.. وجه شيطاني الملامح.. ارتعب عز الدين لمشاهدته وأدرك أنها الخطيبة وأنه لا سبيل إلى المفر بعدما وضع يده في يد الرجال.. فتمتم داخل نفسه: "الله يسامحك يا مجدي".

ولكن قد فات الأوان ورجوعه عن الخطبة بعد هذه المرحلة يشكل إحراجا كبيرا لعائلته ولنفسه ولصديقه.. ثم إن العمر لم يعد يسعفه فقد جاوز الثانية والأربعين ولا يزال عزبا.. وعليه أن يقترن بها رغم الضيق الشديد الذي انتابه ورغم القبح الذي يعتري سحنتها.. فكما يقولون في الظلام تستوي كل النساء.

حملق المسكين في وجه خطيبته وهي تتحدث فأحس بالاشمئزاز وهو ينظر إلى ملامحها المبعثرة وغير المنسقة وردد داخل نفسه هذا قضائي وقدري.. كان هذا هو الانطباع الأول ومن يدري قد لا يكون الانطباع الأول صحيحا دائما.. بدأت المسكينة تتمتم بصوت منخفض لا يكاد يسمع.. فحاول جاهدا أن يسترق السمع ليعلم ما تريد البوح به.. وبشق الأنفس تمكن من الاستماع.

عاهدته بأنها سوف لن تخرج من بيت أهلها إلا بأمره ولن تنام كل ليلة بعد الزواج حتى تسأله: "هل أنت راضي عليّ يا عز الدين أم لا"؟..

قالت له: "سوف لن أتركك تنام حتى ترضى، وسوف أرتب لك بيتك أفضل ترتيب وأجعله قمة في النظافة وووووووووووووو".....

هطلت العهود على عز الدين كأنها المطر.. فبددت عنه قليلا من الضيق وبدأ الشعور بالارتياح يتسلل إلى قلبه الصلد.. قدم لها هدية بسيطة وهي عبارة عن ساعة يد فأخذتها دون أن تقدم له كلمة شكر فاعتقد أنها نسيت.. ولم يكن يعلم أن ذلك سجية جبلت عليها.. طلبت منه أن يسمعها قصيدة من قصائده فأجابها: إن أصدقاءه قد أوصوه بألاّ يزعجك بالشعر فضحكت وأخبرته أنها تحب الشعر.. فاطمأن بعض الشيء وقام بإسماعها إحدى قصائده.. وما أن أتمها حتى أخذت في التصفيق وقد غمرها الانتشاء وأبدت له إعجابها الشديد بشعره.. وبخاصة قصيدته الأخيرة التي قرأتها في إحدى الصحف العربية منذ أيام.

بدأ الشعور بالارتياح يزداد رويدا رويدا بين عز الدين ونجلاء.. تأمل وجهها مليا وقال لنفسه هي ليست بالقبيحة.. بل ومقبولة بعض الشيء ولكن يبدو أن هناك شيئا داخل نفسي، لعله مسّ من الجن يحاول أن يكرّه الناس إليّ.. وبالذات الفتيات ليحول دون إتمام الزواج.. وبعد برهة من الزمن دخلت شقيقتها منال وسألتهما عن رأيهما هل أحسا بالراحة والانسجام.. فسارعت نجلاء لتخبرها بالموافقة النهائية قاطعة الطريق على عز الدين خوفا من أن يكون له رأي آخر.. فرفعت منال يديها مهللة ومباركة ثم تركتهما والسرور يغمر محياها.

كادت نجلاء أن تطير من الفرح بحصولها أخيرا على عريس.. وكلها امتنان لمجدي زوج شقيقتها الذي تمكّن بكل يسر من العثور عليه في سوق العزوبية الشحيح.. أهدته صورتين من صورها وقدم لها هو الآخر صورتين.. تحاورا مليا وقد أخبرته بأنها قد قدمت عدة طلبات للحصول على وظيفة.. واستأذنته أن يسمح لها بالتوظف إن تحصلت على تعيين.. فلم يمانع بل قام بتشجيعها على ذلك.. وبعد حديث شائق بين الخطيبين استأذنها للمغادرة دون أن يتفق معها على موعد آخر أو يأخذ رقم هاتفها.. على أمل أن يكون اللقاء القادم يوم الزفاف كما اتفق مع أخيها عدنان.

وما أن استعد عز الدين للمغادرة حتى ركضت نجلاء لجمع ما لذّ وطاب من الأطعمة والحلويات التي قدمتها له آنفا ولكنه لم يتناول منها الكثير فوضعتها في كيس مع الصحن وطلبت منه أخذها فاعتذر لها فألحت عليه حتى أخذها مكرها.

[2]

الارتياح

نجلاء فتاة في الثلاثين من العمر وهي جميلة ولا يعيبها سوى جبهتها الضخمة الخالية من الشعر ولكن عز الدين رآها قبيحة بسبب انطباعيّ وحسب.. لقد سبق أن خُطبت أكثر من مئة مرة – حسب كلام صديقه مجدي – في البداية كانت ترفض بسبب رغبتها في إنهاء دراستها الجامعية حيث كانت طالبة في كلية العلوم.. وبعدما انتهت من

تحقيق رغبتها لم تتمكن من الحصول على وظيفة.. مما جعلها تلزم البيت ولا تخرج إلا نادرا.. فضاعت فرصتها في الحصول على زوج مناسب أو غير مناسب.. فالوظيفة تعتبر من أهم الوسائل للحصول على زوج لعدة أسباب منها أن الوضع الاقتصادي المتردي يجعل الشباب يفضلون المرأة العاملة التي تعينهم على الحياة.. وكذلك تساعد الوظيفة على تفريغ التشنجات الهرمونية للمرأة.. فتصل للبيت ذاوية هالكة وكل همها أن ترتاح فلا تنفث سم شحنتها في جسد زوجها المسكين عندما يعود من العمل ليرتاح.

وتعتبر الوظيفة وسيلة لأن تعرض الفتاة نفسها على الخطاب.. فبواسطتها تخرج إلى الشارع وتحتك بالموظفين والمراجعين وغير ذلك من المزايا التي تحققها الوظيفة للنساء في زمن قل فيه الرجال.

عاد عز الدين إلى شقته ودخل غرفة الجلوس وأخذ صورة خطيبته ووضعها أمامه وأخرج الأطعمة التي زودته بها ووضعها في الصحن الذي أعطته إياه وبدأ يأكل ويتأمل صورتها فأحس بقليل من الارتياح.. ثم تأوه بحرقة ونظر إلى محتويات الشقة المقلوبة رأسا على عقب مخاطبا نفسه، أخيرا أصبحت لي عائلة.. أصبح لي أهل.. لقد مضى عمري هباء بلا هدف.. قضيته عرضة لسوء الحظ.. قاسيت ما لم يقاسه الأنبياء والقديسون في دهاليز الشجون.

تأمل قصائده المبعثرة على الأرض وتأمل الفوضى التي أحاطت بكل شيء في شقته المتهالكة.. ثم دخل لينام بعد تناوله لوجبة العشاء

التي اعتاد عليها منذ خمسة أعوام وهي البيض المسلوق.. وتعتبر أفضل وجبة للعزاب نظرا لسهولة إعدادها.

وضع صورتي خطيبته على الرف بجانب السرير وأشعل مصباحا واهيا وأخذ يتأملهما ولسان حاله يردد: "أخيراً أصبح لي زوجة مثل كل الناس".. ثم وضع رأسه على الوسادة مطلقا لخياله العنان ليسبح في أحلام وردية مع خطيبته التي أحس أنها تحبه بشكل هِستيري وهو يتمنى أن يبادلها نفس المشاعر.. غير أنه كان يدرك أن قلبه قد قدّ من صوان ويحتاج للكثير من الشحذ ليهتز من جديد.

في الصباح استيقظ عز الدين باكرا وفتح الثلاجة وأخرج رغيف الخبز المجمد من بيت الثلج ووضعه على المدفأة.. وقام بوضع بيضتين كالعادة في الغلاية وطبخهما ثم سلقهما ووضعهما داخل الرغيف وبدأ في التهامهما بشراهة ولسان حاله يردد: "أخيراً سأتخلص من حياة العزوبية ويكون لي أهل أتناول معهم الوجبات المتنوعة بعيدا عن زفر البيض".

بعد ذلك خرج إلى العمل منتشيا.. يكاد الهواء أن يرفعه من شدة الفرح والسرور.. ورغم عدم تمكن عز الدين من الحصول على وظيفة هو الآخر إلا أنه لم يسكّن متحركا فقد صارع الحياة وصارعته.. هو الآن يعمل موظفا في مكتب خاص للمحاماة براتب ضئيل خلال فترتي الصباح والمساء.. وكل أمله أن يؤسس لنفسه أسرة كريمة أو مهانة لا يضير.. وقد سبق له أن قدم ملفه لعدة جهات من أجل الحصول على

وظيفة ولكن لم يحالفه الحظ.. ذات يوم حصل على تعيين في مدينة الكفرة بالجنوب وهي تبعد زهاء ألف كيلو متر عن مدينته الحبيبة بنغازي.. فرح بالعقد المختوم والموثق.. واستدان ثمن تذكرة السفر، وانطلق إلى مطار بنينا الدولي للسفر من أجل استلام الوظيفة.. وما أن وصل إلى المطار حتى فوجئ بإلغاء الرحلة وبعد جهد جهيد وصل إلى الصحراء على ناقة جرباء بلا زاد ولا ماء ليلتقي بالعهود الكاذبة وولدت عندئذ تلك القصيدة التي أعجبت خطيبته كثيرا لأنها تصور نفس المعاناة التي عانتها.

[3]
المكالمة الأولى

في اليوم الثاني بعد اللقاء الحميمي مع نجلاء فوجئ عز الدين باتصال هاتفي من شقيقها عدنان حيث أبلغه أن نجلاء تود التحدث معه، فلم يمانع.. وما هي إلا لحظات حتى سمع صوتا ناعما يقول له: "أهلا عز الدين ما بيتش اتكلم أنت قلت انكلم أنا".. ثم أخذت تقهقه بصوت عالٍ مثيرٍ فرحب بها وكم كان يتمنى ألاّ يكون هناك أي اتصال حتى يوم الزفاف ولكن لا بأس.. تبادلا الحديث سويا وحاولت تبرير موقف اتصالها كأنثى بدلا من اتصاله هو باعتباره الذكر على أنها ترغب في شراء بعض الحاجيات للشقة وتود أن تعرف حجم الحجرات والمطبخ والحمام وسألته عن لون كل مكان في الشقة.. وكانت كلما أجابها عن سؤال تعقب قائلة إذن سأشتري كذا بلون كذا.. وقد لاحظ أنها تحب اللون المشمشي بشكل جنوني.. فعندما أخبرها أن لون

المطبخ وردي أخبرته أنها ستشتري صحونا ذات لون مشمشي وستارة الشباك مشمشية ومفرشي الطاولة مشمشية والثلاجة مشمشية وجميع أدوات المطبخ مشمشية.. وكذلك عندما أخبرها أن لون الحمام أبيض أجابته أنها ستشتري لون فرش الحمام مشمشيا ومفرش الغسالة مشمشية وستارة حوض الغسيل مشمشية وستارة الشباك مشمشية.. لفت انتباهه الملابس المشمشية التي كانت ترتديها عندما التقى بها أول مرة.. كان حديثا ممتعا أحس فيه بالارتياح الشديد.. وهنا امتلك كل شجاعته وأفصح لها عما يجيش داخله قائلا: "أنا أحبك".

ما أن تلفظ بتلك الكلمة حتى انقطع خط الهاتف بسبب عطل ليبياني فني وعندما حاول الاتصال لم يسعفه الحظ.. لقد أغلق قلبه عن الحب منذ زمن بعيد بسبب جرح قديم أصابه عندما كان طالبا في الجامعة.. ولكن نجلاء تمكنت بأنوثتها وغنجها أن تحطم أقفال قلبه وتفتحه على مصراعيه.. أنفاسها عبر الهاتف هيجت أحاسيسه وجعلته يشغف بها حبا.. فهي حبه الأول أما الجرح القديم فلم يكن حبا حقيقيا كما كان يعتقد بل هو وهم زائل لم يترك أي أثر داخل نفسه ولم يعد يذكر حتى ملامح صاحبته، وأن الأمر لم يكن جديا بل كان عبثا وتسلية من قِبلها وهاهو القدر يعوضه بنجلاء التي ملأت حياته فرحا وسرورا.

[4]

الجرح القديم

كانت الفتاة التي أحبها عز الدين من قبل مخادعة.. فهي رغم الخطبة التي كانت تجمع بينهما إلا أنها كانت ترفض التحدث معه في الجامعة عندما كانا طالبين بحجة الخوف على سمعتها.. كانت تدعى عزيزة وهي ابنة جيرانه.. لقد كان عمر ذلك الجرح حوالي ثمانية عشر عاما وقد استمرت فترة الخطبة لمدة ثلاث سنوات ولكن أهلها اشترطوا أن تكون خطبة سرية مراعاة لشعور جارهم الثاني الذي تم رفضه منذ عدة أيام عندما جاءهم خاطبا.. كما اشترطوا ألاّ يتم أي إجراء بخصوص الزواج إلا عندما تتخرج ابنتهم من الجامعة.. واستمرت الخطبة لمدة ثلاث سنوات في السر.. دونما يسمح لهما باللقاء ولو لمرة واحدة.. وقد اضطر عز الدين في تلك الفترة إلى ترك الجامعة والسعي وراء التجارة على أمل أن يجمع المهر وتكاليف حفل الزفاف الباهظة، ولكنه فوجئ بأهل عزيزة يتكتمون على موضوع الخطبة بشكل مبالغ فيه حتى إنهم ينفون للناس الخبر بعدما تسرب للسامعين.. وبعد مرور ثلاث سنوات من الانتظار، ألح عليهم بأن تكون الخطوبة رسمية وأنه يود أن يعقد القِران.. لكنه فوجئ بالتلعثم يهيمن على ألسنتهم وعاهدوه بألاّ يتزوج عزيزة سواه.. قام بالضغط عليهم مرة أخرى من أجل إتمام عقد القران ولكن حدث ما كان بحسبانها.. فما أن سمع ابن عمها بالخبر حتى جاء ركضا لخطبتها تماما كما خططوا.. وهو مهندس ناجح ومتدين وأوضاعه المادية مناسبة رغم علمه بأنها مخطوبة.. وخطبة المخطوبة من أبشع أنواع الجرائم الإنسانية التي يدعي أنه يؤمن بها.

أصيب عز الدين في تلك الفترة بخيبة أمل وترك البيع والشراء وعاد للجامعة لمواصلة دراسته.. أصبح قلبه يتبعها رغما عنه.. حاول جاهدا كبح جماحه ولكنه لم يستطع.. كانت تنظر لعينيه الحزينتين بتشفٍ وكأن بينهما ثأرا قديما.. ولم يتورع ابن عمها عن الحضور إلى الجامعة والالتقاء بها ولم تكن تمانع مثلما كانت تفعل معه.. وأصبح عز الدين كلما رآهما مع بعضهما يحس بألم شديد ينتابه.. ولا يملك إلا أن يطلق سلام المهزوم وهو يدعي الكبرياء.. تلك الفترة كانت عصيبة في حياة عز الدين ولم ينجه منها سوى الزمن.. فاضطر المسكين لترك الجامعة، لأنه لم يعد يحتمل رؤيتها وهي تقهقه مع خطيبها الجديد.. وشاء القدر لعز الدين والألم يعتصره أن يقع بيد الشرطة العسكرية.. قبضوا عليه بسبب تأخره عن أداء فترة الخدمة الوطنية.. وتم نقله إلى أحد معسكرات التدريب.. ليجد نفسه بين الهرولة والانبطاح والسير في سرايا وكتائب.. إن التدريب الشاق للجسد استطاع أن ينسيه آلام الروح.. وتمكن من اجتياز الأزمة العاطفية بنجاح.. وأصبحت عزيزة بالنسبة له مجرد ذكرى سيئة في حياته وهاهي نجلاء تملأ الدنيا مرحا بعد أعوام من الآلام والآهات التي تكبدها.

[5]

الحب

ازداد تسرب حبه لنجلاء ووصل إلى درجة العشق ثم الوله فالهيام.. وأصبح شبحها يطارده في كل مكان.. لم يعد يستطيع النوم.. وكل عزائه الصورتان اللتان أهدتهما له.. بعد أيام اتصل بها فالتقطت

الهاتف بلهفة وركضت إلى السطح من أجل الحصول على التغطية حيث تحدثا سويا عن مستقبلهما.. ثم قالت له: "هناك كلمة قلتها لي أثناء المكالمة السابقة قبل أن ينقطع خط الهاتف".. فحاول جاهدا تذكرها فلم يستطع فقد كان يعاني من ضعف شديد في الذاكرة.. قالت له: "أنك قلت بأنك تحبني".. فرد ضاحكا: "بالفعل تذكرت".. ثم عقب: "إني أحبك وأنت هل تحبينني"؟.. أجابته بغنج: "حتى أنا انحبك ولما نقعد عندك في الحوش موش حا تسمع مني كلمة عز الدين بكل ومش حا اناديك إلا يا حبيبي".

أخبرته أنها أرت زوجة أخيها صورته فقال لها عز الدين: "وهل أعجبتها" فقالت برقة: "موش مهم تعجبها المهم أنها عجبتني أنا".. ثم عقبت: "أنا ديمة نمسك في صورتك ونبوس فيها".. فأجابها بأنه هو أيضا يقوم بتقبيل صورتها.. فقالت له: "لكن أنت ما قلتهاش ليَّ".. فأجابها: "إنني استحييت منك".. ثم طلب منها أن تقبل الصورة وتسمعه صوت القبلة.. فطلبت منه أن يفعل هو ذلك أولاً ثم تداركت قائلة إن الصورة ليست معك فأجابها: "ليس هناك أي مشكلة سأتخيل الصورة وأقبلها وأسمعك صوت القبلة".. ثم قام بتقبيل سماعة الهاتف فقالت له: "وحدة بس".. فقام بتقبيل السماعة ثلاث مرات متتالية فقهقهت بصوت عالٍ.. ثم طلب منها أن تسمعه هي الأخرى صوت القبلة عبر الهاتف.. فتغنجت قليلا وأبت فأقسم لها برأسه فقامت بتقبيل السماعة بصوت حنون لطيف مثير.. لم يتمالك عز الدين نفسه فطلب منها قبلة حقيقية

فأجابته: "بعد تقرأ الفاتحة انخليك اتبوسني".. وكانت دائمة الترديد لعبارة: "ربي ايخليك ليّ".. ثم سألته عن محتويات الشقة فأجابها أنها مفروشة بالكامل ولديه مكتبة ودار نوم وثلاجة وغاز ودولاب مطبخ.. فسألته عن لون الفرش فأجابها أنه بني اللون (بيج).. طلبت منه أن يدع لها حرية اختيار الصالون وكراسي الصالة (الأنتريه) وأخبرته أنها فرصة لنشاهد بعضنا وأخذت في الضحك.. أجابها بكل سرور ثم عقب أن الفرش الموجود بالشقة قد تم طرحه بها منذ خمس سنوات وأنه لا يزال جيدا بسب عدم السير عليه بالأحذية وأنه يكره السير على الفرش بالأحذية.. ضحكت من جديد وقالت: "هذي أحسن حاجة عندي".. سألته هل تحب الأطعمة الشعبية؟ فأجابها بالنفي باستثناء العصيدة فقالت: "عظيم هذا أفضل شيء عندي وبالنسبة للعصيدة سأتعلم إعدادها من أجلك".. ثم أخبرته: أن لديها كتابا اسمه (الزواج الإسلامي) وأنها سترسله له في أقرب وقت ممكن.. ثم ألحت عليه بأن يسخن الخبز داخل الفرن بدلا من وضعه فوق المدفأة، فأبى مكررا رفضه.. كان يريدها أن تكون أول من يوقد الفرن بيديها.. كانت تتألم لحاله كونه بدونها.. وكم كانت تتمنى أن تكون معه لتعد له إفطاره وغداءه وعشاءه.. قال لها: "بالنسبة للفطور لا عليك فأنا متعود على الإفطار في المطاعم ويمكنك النوم على راحتك".. فقالت له: "لا يمكن يا عز الدين لابد أن أستيقظ من أجلك وأعد لك الإفطار بنفسي".. فقال لها:

"سوف لن يكون عندي وقت".. فأجابته: "على الأقل انوتي لك حتى سندوتش اتشيله معاك".

أحس عز الدين بنوع من الارتياح وكاد يسيح على المقعد الذي يجلس عليه.. وأخذت نجلاء تزرع في قلبه شجرة الحب وترويها بريقٍ عسلي المذاق حتى كبرت وأصبحت شجرة ضخمة لا يستطيع حطابو الأرض جميعا قطعها أو اقتلاعها ولو اجتمعوا على ذلك.

[6]
الدبلة

بعد أيام من الخطوبة حلَّ عيد المولد النبوي الشريف فطلبت منه أن يأتي إلى بيتهم لزيارتها فأبى.. كان من شدة حبه لها يتمنى ألاّ تكون هناك لقاءات حتى يوم الزفاف. ولكن عندما رجع إلى البيت أخبره أهله أن اليوم موعد العيد النبوي الشريف وأن من طقوس الليبيين أن يزور الخطيب خطيبته في هذا اليوم محملا بالهدايا، زيارة رسمية.. فذهب مسرعا إلى بعض المحلات بشارع عشرين لشراء ما يلزم من حاجيات وهي بذلة وحذاء و"تورتة" على هيئة قلب.. وارتدى بذلته السوداء المتواضعة.. ثم اتصل بنجلاء ليخبرها بقدومه المفاجئ.. طلبت منه أن يؤجل الزيارة للغد فاعتذر وقال لها إن الظروف لا تسمح وحدد لها ساعة واحدة لتعد نفسها فيها.

رغم ضيق الوقت تمكنت نجلاء من إعداد كل شيء وكأنها كانت تنتظره.. استقبلته بكل مودة قائلة: "هل أنت ترتدي البذلة من أجلي"؟.. وضحكت ضحكة كلها عشق وهيام فقدم لها الهدايا بكل ود.. ثم أرادت

الدخول فطلب منها عدم التأخر لأنه مشتاق إليها فابتسمت له وخرجت لبضع دقائق ثم عادت محملة بأطيب المأكولات والحلويات وقد خلعت حذاءها المشمشي الأنيق عند مدخل الصالون وجلست ملاصقة له لا يفصل بينهما سوى صحن صغير مليء بقطعة من "التورتة" ونظر كل منهما للآخر وكأنه يشاهده للمرة الأولى ثم ابتسمت وقالت: "لقد خلعت حذائي لأنك قلت لي في الهاتف: "إنك لا تحب السير على الفرش بالأحذية".. ثم استدركت: "رغم أنه نظيف".. أجابها: "لا يا حبيبتي أنا لا أعنيك بذلك وأرجو أن ترتديه".. فأبت وقالت: "إن رغباتك أوامر لابد أن تنفذ".. وأصرت على عدم ارتدائه.. أبدى إعجابه الشديد بتسريحة شعرها.. فقد أخفت جبهتها الكبيرة فطلب منها أن تقوم بهذه التسريحة يوم الزفاف.

كان خائفا أن يرى المدعوون جبهتها فيصابون بالرعب وقال لنفسه بعد الزواج سأجري لها عملية زرع شعر.. أخبرها بأن وزنها زاد قليلا ويبدو أن ذلك بسبب الحالة العشقية التي تعيشها ثم قال لها: "إنه مستعجل على الزواج" فابتسمت له وأخبرته أنها هي الأخرى مستعجلة وأخذت تقهقه بصوت مثير.. قام بأخذ قطعة من "التورتة" بالشوكة وأطعمها إياها بنفسه فأكلت هنيئا مريئا وقامت هي الأخرى بأخذ قطعة مماثلة وأطعمته بنفسها قائلة: "عندما نتزوج سوف لن تأكل إلا من يدي".. كانت القطعة كبيرة فقال لها: "أتمنى يوم الزفاف أن تصغريها قليلا".. فأجابته: "أنها ستقدم له قطعة أكبر من هذه"، وأخذت في

الضحك الهستيري المثير.. ثم شربا عصير المشمش اللذيذ من نفس الكأس ومن نفس الجهة.. طلب منها قبلة فأخبرته أنها ستسمح له بها بعد عقد القران مباشرة.. كم تمنى أن يعقد القران الآن ولكن أهله يفضلون أن يكون العرس دفعة واحدة وليس على مراحل.. أرته جرحا بشفتها العليا سببته لها ابنة أختها رندا وقالت له إنها قالت لها: "حي عليك من عز الدين فدهشت الصغيرة وتساءلت من هو عز الدين"!!!.. تأمل ذلك الجرح وتمنى لو أنه قبله حتى يندمل.

أخبرته أن جدتها تنحدر من أصول تركية فقال لها: "إذن هذا هو سر الجمال الظاهر".. ثم تأملها بعينيه متغزلاً: "كنت أتساءل من أين أتيت بهذه العيون الجارحة وهذه البشرة الناعمة المفرطة في البياض وهذا الشعر القسطلي"؟.. ابتسمت ابتسامة جميلة وشكرته على التغزل الرقيق الذي أغدقه عليها.. أهداها قنينة كحل ومسبحة كانت والدته قد جلبتها معها من مكة المكرمة منذ زمن أثناء قيامها بأداء فريضة الحج وقالت له: "هذه للفتاة التي سيحالفها الحظ بك".. خبأ تلك الهدية لمدة أربع سنوات وشاء القدر أن تكون هي صاحبتها وطلب منها عدم استعمال الكحل بسبب طول المدة فقد تكون صلاحيته منتهية.. فأخذتها بكل لطف وقالت له: "سأضع القنينة المباركة مع جهاز العرس".. ثم نظرت إليه بتلهف وأخبرته أنها منذ زمن تتمنى أن تعيش قصة حب ولكن كانت تريد أن يكون ذلك بالحلال وحمدت الله أن تحقق حلمها.

طلبت منـه أن يشتري لـها دبلـة وأشـارت نـحو إصبعها.. فأجابـها: "إن الدبلة سأحضرها لك يوم عقد القران".. ثم عقّب: "حتـى أكتـب عليـها التاريخ".. فقالت لـه: "صحيح لأن سلح الدبلـة من أجل أي سبب غير مستحب".. ثم أخبرتـه أنـها تحب الشِعر كثيرا وأن لـها بعض المحـاولات وأسـمعته إحـدى محاولاتـها الركيكـة التـي كتبتـها عـن شـجرة المشـمش اليابسة الموجودة بحديقة البيت وقد ماتت منذ سنين وهـي سر عشقها للون المشمشي.. أجابها: "إنـها خـواطر رائعة وإنـها تمتلك الموهبـة وإنـه قادر على أن يصنع منها شاعرة".. ثم أخرجت لـه ألبوما مليئـا بالصور يحتـوي علـى حوالي أربعين صـورة فوتوغرافيـة تخصـها لوحـدها.. لفتـت انتباهه إحدى صورها وهـي شبه عاريـة ترتـدي فستانا قصيرا جدا فـوق الركبـة بحـوالي شـبر وقـد كـاد فخـداها أن يبرقـا مـن الحسـن والجمـال الأخّاذ.. وكاد ريقه أن يسيل من شدة الولـه.. أهدته كل تلك الصور فقام بوضعها داخل جيب بذلتـه بعدما تمكنت من غرس بذور المحبـة داخل قلبه الجريح ثم ودعها على أمل اللقاء بها في أقرب وقت ممكن.

[7]
غرفة النوم

بمجرد وصـول عز الـدين إلـى شقته قام بـإخراج كل تلـك الصور وعلقهـا علـى مـرآة "الزيانـة" التـي تخـص دار النـوم.. فـامتلأت الحجـرة غبطـة وسرورا وهـي تحتضـن بلهفـة صـور صـاحبة الشـقة التـي طالمـا انتظر قدومها منذ أمد بعيد.. بعد ذلـك وضـع رأسـه علـى الوسادة وأخذ

ينظر إلى صور حبيبته متمنيا قدومها في أسرع وقت ثم أخلد إلى النوم على أمل أن يراها في المنام.

في اليوم التالي استيقظ مبكرا للذهاب إلى عمله وهناك بدا شاردا مطلقا لخياله العنان للغرق في أحلام اليقظة.. لقد تمكنت نجلاء من سلب عقله وأصبحت هاجسه الأول والأخير.. واستمر الاتصال بينهما بين الفينة والأخرى.. كان أهلها يمانعون زيارته لها في البيت ويسمحون لهما بالتحدث عبر الهاتف فقط.. استطاعت نجلاء أن تسلب عقله.. فقد باضت بين أروقة قلبه ونامت على البيض وأدفأته بساقيها البيضاوين حتى فقس وأخرج كتاكيت ملأت الفضاء الرحب حيوية.. كان عز الدين قد تعجب من بعض التناقضات.. فقد أخبره صديقه مجدي أنها لا تحب الشِعر وأخبرته هي أنها تحب الشِعر وأن لديها بعض الخواطر الجميلة.. وقد نسي المسكين أن الفتيات على دين أحبابهن فلو كان فنانا تشكيليا لادعت أنها تحب الرسم ولو كان مطربا لادعت أنها تحب الغناء.. واستمر الحوار بينهما عن طريق الهاتف لفترات طويلة.. كلفته المكالمات أكثر من 1000 دينار وهو مبلغ كبير بالنسبة إليه وسبب ارتفاع المكالمات أن الهاتف الذي تستعمله نجلاء من النوع المحمول وهو يخص أخيها عدنان الذي كان سخيا بالسماح لها بتلقي مكالماتها عبره والتي كانت تنتهي عادة بالقبلات الحميمية بين كلا الطرفين وانتهت فيما بعد بقطع خط الهاتف من قبل شركة البريد بسبب ضخامة حجم الفاتورة والعجز عن تسديدها.

كانت نجلاء تخاف على عز الدين من نسمات الهواء وكثيرا ما كانت توصيه بتلاوة آيات الكرسي بعد صلاة الصبح والعصر قائلة: "إن من يقرأهما يحظى برعاية الله له".. ثم تتوسل إليه: "أرجوك اقرأهما حتى يحفظك الله لي".. ثم تعقب: "أرجوك يا عز الدين اعتني بنفسك حتى آتيك وبعدها سأعتني أنا بك".. تمكنت كلماتها المعسولة وحرصها الشديد عليه من الاستحواذ على كل مشاعره.. ذات يوم أخبرها أنه لم يتناول وجبة الغداء لأن أهله ليسوا في البيت فحزنت أشد الحزن وقالت له: "لماذا لم تأت إلينا من أجل تناول وجبة الغداء عندنا"؟.. ثم عقبت: "إذا اشتهيت أي أكلة فأخبرني بها وسأعدها لك بكل سرور".

قالت له بلغة مليئة غنجا: "نبيك جنبي يا عز الدين".. فأجابها: "وأنا كذلك".. وكانت دائمة الترديد لكلمة: "وحشتني يا عز الدين وحشتني".. وكم تعجب عندما علم أنها تحفظ عن ظهر قلب ذكرى يوم خطبتهما وذكرى اليوم الأول للقائهما.. وكم تعجبت كونه لا يحفظ هذا التاريخ المهم ولامته على ذلك أشد اللوم.. حدثته عن خطيبها السابق وكيف فسخت الخطبة لأن شقيقته كانت تتشاور مع أهلها في أمور العرس وتتجاهلها.. حدثته عن شاب كان سيتقدم لخطبتها منذ فترة قريبة جلبه شقيقها من سوق العزاب وعندما تم تحديد يوم للقاء من أجل التعارف توفيت جدته فتم تأجيل ذلك ثم ألغي الموضوع برمته.. أجابها: "لقد كان هذا من حسن حظي والحمد لله أن جدته توفيت".

[8]

القصيدة

طلبت منه أن يكتب فيها قصيدة، وأن يرسل لها رسائل فكتب لها قصيدة ورسالتين لم يحتفظ بنسخة منهما لاعتقاده أنها ستحضرهما معها بعد الزواج.. وأطلق اسم قاتلتي على القصيدة.. وقد كان اسمها نجلائي غير أنه لم يشأ أن يضع اسمها في شعره.. فرحت بالكلمات البسيطة حتى كادت تطير بلا جناحين ثم طلبت منه أن يعيد اسمها إلى القصيدة فقال لها: "أنت على ذمتي وقد أصبحت عرضي وأنا لا أريد أن تتناول عرضي ألسنة الناس".. أخذت القصيدة بفرح وسرور وقرأتها على شقيقاتها مفتخرة بها وكأنها معلقة امرئ القيس بن حجر.

كانت قصيدته تتوجه بتساؤلاته للكون عن ندٍّ لها.. ولم يكن يعلم أن الكون سيجيبه عن سؤاله إجابة لن ينساها عبر الزمن.. أخبرته ذات مرة أنها قالت لشقيقتها آمال زوجة صديقه مجدي وهي تريها القصيدة: "هل كتب فيك مجدي قصيدة أيام الخطبة".. ثم أخذت تضحك بصوت عال.. أرادت منه أن يكتب فيها المزيد من قصائد الغزل وتعجبت من لون الحزن الطاغي على قصائده.. أجابها إن الشعر يحتاج إلى دافع ليخرجه إلى الوجود وهذا لا يتأتى إلا بظروف قاهرة كي ينساب انسيابا طبيعيا فالقريحة عندي لا تتأجج إلا بردّة فعل ناتج عن ألم قد يكون كبيرا كجرح كرامة أُمّة وقد يكون صغيراً كجرح كرامة أَمَة والفرق بين الأُمّة والأمَة كبير ولكن لا فروق في حجم الآلام فالقلب

مثوى الرب وعندما يتم خدشه بمخلب ما فإن ذلك يتسبب في إحداث شرخ عظيم وهذا الشرخ قد تنتج عنه كارثة إذ ينتقل التمزيق من النفس إلى البدن أما بالنسبة للشاعر فإنه يعلن عن بداية إخصاب للقريحة أشبه بالبركان الداخلي لولادة قصيدة.. وبخصوص لون الحزن الذي أصبحت أتميز به فهو أنني لا أستطيع الكتابة إلا في لحظة ألم.. فقد عشت حياتي في صراع مرير مع الحظ حتى أصبحت أحس أنني أشبه بصاحب البريد الذي يسير على جسر من الرماد وهو يحاول تجنب ألسنة اللهب ليصل إلى النهاية وكلما تقدم كلما غاصت رجلاه في الرماد وحجب الدخان عنه الرؤية.. هو يدرك استحالة اجتياز الجسر ولكنه على يقين من عجز النار عن التهام الرسائل التي بحوزته.. وعندما يغفلني القدر وتغمرني لحظة سعادة – وهذا نادرا ما يحدث – فإنني أقف عاجزا عن تصوير تلك اللحظة محاولا الانتشاء بها بكل جوارحي والتزود منها بما يعينني على مواصلة السير فالجسر طويل والدخان كثيف وألسنة النار مؤلمة.. وعلى الشاعر ألاّ يتألم من ظلم المكان ويطمح لإنصاف الزمان.. فالجامد ليس كالمطلق والنجاح غير مرتبط بعيش الحياة.. فهناك من لم يعيشوا حياتهم ونجحوا.. وهناك من عاشوا حياتهم ولكنهم فشلوا.

[9]

شهر العسل

في أحد الأيام أخبرته أن أختها منال قد أهدت إليهما تذكرتي سفر إلى مصر لقضاء شهر العسل هناك ولكن المشكلة أن جواز سفرها يحتاج لتجديد وأنها أرادت أن تجدده فطلب منها موظفو الجوازات استخراج بطاقة شخصية.. ثم طلبت منه أن يستخرج لها بطاقة شخصية ولمحت له بتجديد جواز السفر.

أحس عز الدين بالإحراج قليلا فهو لا يحب الدوائر الحكومية واستخراج بطاقة شخصية في دولة من دول العالم الثالث مثل ليبيا يعتبر أشبه بالمستحيل.. فهناك أوراق لا حصر لها ملزم بتوفيرها مثل شهادة الميلاد والإقامة وشهادة الخلو من السوابق وغير ذلك من أوراق.. ناهيك عن تصديقها من قبل مختار المحلة.. لم يألُ عز الدين جهدا من أجل استخراج بطاقة شخصية لخطيبته وكان يتجول من مقر إلى مقر ومكتب إلى مكتب بعدما أحرجته بهذا الطلب السخيف وهي تعلم أنه لا وقت لديه.. وقد كان حظه أفضل من حظ خطيبها السابق الذي طلبت منه أن يستخرج لها جواز السفر.

بعدما أحضر عز الدين جميع الشهادات المطلوبة وعاد للبيت فرحا، أخلد إلى النوم فداهمه حلم عجيب.. فقد رأى في المنام الموظف المختص بقسم البطاقات الشخصية يجيبه بأن هناك شهادة ناقصة وهي إثبات أن نجلاء لا تزال على قيد الحياة.. فتعجب عز الدين واستفسر عن المكان الذي يحضر منه مثل هذه الشهادة فأجابه: من الخفير

بمقبرة الهواري فذهب مسرعا إلى هناك وقام الخفير بمراجعة شواهد القبور بالمقبرة فلم يعثر على اسمها بين الموتى فذهبوا إلى مقبرة الأحاسيس فوجدوا اسمها على أحد الشواهد غير أن القبر كان من دون جسد أي أنها ليست ميتة روحيا.. فحرر لها شهادة بأنها لا تزال على قيد الحياة فقام عز الدين بدفع الرسوم.. وهمّ بالخروج ولكنه فوجئ بالموتى يخرجون من القبور ويتوجهون نحوه وهم يطالبونه باستخراج بطاقات شخصية لكل واحد منهم ويهتفون معاً بصوت عالٍ وسط الظلام: "حتى نحنا نبوا بطاقة شخصية كيف نجلاء يا عز الدين".. فهرب المسكين منهم وعاد للبيت والبؤس يهيمن على نفسه المحبطة وهو يتساءل لماذا كل هذا التعب يا نجلاء؟.

طلبت منه هذا الطلب رغم أن لديها إخوة لا يحز حد السيف رقابهم وقد حاولت تبرير ذلك بأنها ترغب في أن تجعله يشعر بالمسؤولية تجاهها وأنها أصبحت ملزمة منه رغم أن إخوتها لديهم علاقات طيبة مع قسم البطاقات الشخصية.

سأله ذات يوم الموظف المسؤول بقسم البطاقات الشخصية عن القرابة بينه وبينها فأخبره وهو محرج أنها خطيبته.. نظر إليه الموظف متعجبا ثم قال داخل نفسه: "أليس لها أهل يقومون بهذا نيابة عنك"؟!. وكان كلما احتاج إلى تصديق ورقة من قبل مختار المحلة فإنه يتوجه نحو بيتها بحي الصابري متكبدا كل تلك المسافة وهو المقيم بمنطقة بوهديمة حتى تقوم بتصديقها من قبله.. وكلما كلمها في الهاتف تسأله

وبإلحاح شديد: "هل أخرجت لي البطاقة الشخصية يا عز الدين"؟؟؟ فيجيبها: "ليس بعد".. فتلح عليه أن يذهب غدا لسؤال الموظف المختص عنها.. وتأخذ في الإلحاح حتى تسبب له الضجر فلا يجد وسيلة للخروج من هذا الموضوع الممل سوى أن يغازلها قائلا: بأنني أحبك ومشتاق إليك وبعض الكلمات المعسولة من هذا اللون.. وما أن يتغير الموضوع ويدخلا في جو من الرومانسية حتى تفاجئه من جديد قائلة بصوت رخيم: "عز الدين متى تستخرج لي البطاقة الشخصية".. فيفعل كما فعل في المرات السابقة حتى تمكن من تجهيز كل ما يلزم ولم يتبق سوى بصمتها فقام عز الدين بالبصم نيابة عنها ليوفر على نفسه المشوار إليها لتظل بصمة إبهامه ذكرى في ملفها للأبد هذا إن ظل هنالك أبد.

[10]

التجهيز للزفاف

ثم أخذت تلح عليه لتحديد يوم العرس وحجز القاعة الخاصة بالمناسبات.. حدث ذلك قبل وصول المبلغ الذي ينتظره بفارغ الصبر من أجل القيام ببرنامج العرس.. سألته عن الملابس التي تخصها: "هل سوف تشتريها بنفسك أم تعطيني المال لشرائها؟".. فأجابها بأنه سيعطيها مبلغا من المال لتتسوق به بنفسها.. فأخذت تلح عليه: "اذهب واحجز في صالة المناسبات الآن يا عز الدين".. كما أنها لم تنس أن تطلب منه إحضار المبلغ من أجل البدء في شراء الملابس وأخذت تلح عليه كلما اتصل بها ولم يكن عز الدين يمتلك المبلغ لأجل

ذلك في ذلك الوقت.. فلذلك اضطر الأبله إلى أن يلجأ إلى تغيير الموضوع لينجو من الشرك وذلك بأن يهمس لها بأنه يحبها وأنه متيم بها وأنه لا ينام الليل من أجل عينيها.. واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن تحصّل عز الدين على المال لأجل تحقيق حلمهما.

كانت خلال تلك الفترة تحاول جاهدة إذكاء جذوة الإغراء وإثارة روح الشهوة داخل جسده فأخبرته بلهجة فيها غنج ودلال أنها اشترت له فستانين للنوم أحدهما لونه أحمر والآخر مشمشي وأنها سترتديهما له بعد الزواج.. فسألها عن طولهما فأجابته ضاحكة: "فوق الركبة بشبر".. ثم سألته: "هل تحب القصير"؟؟؟ فأجابها بالإيجاب فعقبت بأنها سوف لن ترتدي له إلا الملابس القصيرة.. وصفت له نفسها إمعانا في الإغراء حيث أخبرته أن جسمها أبيض اللون وأن السمرة التي في وجهها ويديها سببها الشمس فقط.. فقال لها: إنني أعلم ذلك من خلال الصور ثم إن وجهك ويديك هما أيضا بيضاوان رغم أنف الشمس.

كانت قلقة من موضوع نقلهم من الشقة فهي بين الهدم والصيانة وقالت له إن أخاها عدنان قد طمأنها بخصوصها حيث أخبرها أنهما لن يتزوجا إلا فيها.. صارحته أنها تخاف من الظلام.. فمنذ زواج أختها آمال وهي تنام بمفردها.. وبسبب الخوف فإنها دأبت على جعل الوناسة مضيئة طوال الليل.. أجابها عندما تأتين إليّ سوف لا تنامين إلا بين أحضاني.

أبدى إعجابه الشديد بالصورة التي ترتدي فيها فستاناً للنوم فوق الركبة بشبر وقال لها: إن فخذيها بيضاوان فضحكت وقالت له: "عارفة" فقال لها: "كم أتمنى أن يأتي اليوم الذي أضمهما فيه".. فقهقهت بغنج ثم قالت له: "إنك يا عز الدين تقول في كلمات غريبة".. طلب منها عندما يأتي لزيارتهم، أن ترتدي له أحد فساتين النوم التي اشترتها خصيصا له، فأجابت: "لا إن هذا حرام".

كانا يتعاندان من منهما يحب الآخر أكثر؟ وكانت تحاول جاهدة أن تثبت له أنها تحبه أكثر منه وهو أيضا يحاول إثبات ذلك غير أنها كانت تتفوق عليه دائما.. وتعاندا في حسن الذوق فمازحها: أنا أكثر منك ذوقا، فتساءلت لماذا؟ وأحست بشيء من التسفيه لذوقها فأجابها لأنني أنا اخترتك ولكن أنت اخترتني فأفحمها.. أحس أنها أغرمت به بشكل كبير.. ومن أجله كثيرا ما كانت تصعد إلى سطح البيت للحصول على تغطية للهاتف وتقضي فترة المكالمة تحت أشعة الشمس المحرقة لأجل سماع صوت حبيبها.

[11]

لقاء غرامي

ذات يوم طلبت منه اللقاء من وراء ظهر أهلها بمكتب شقيقتها آمال فاعترض الأبله.. ألحت عليه من أجل اللقاء به خلسة فاستعصى عليها.. فأخذت تتوسل إليه بأنها مشتاقة له جدا وأنها لم تعد تحتمل عدم رؤيته.. فقال لها هذا لا يجوز.. ثم إن هذا التصرف سوف يغضب

مجدي زوج شقيقتها فردت عليه: إن مجدي لا يهمني ولا يعني لي شيئا.. ثم استدركت صحيح أنه هو الذي زوجنا لبعضنا ولكنه لا يعني لي شيئا.. كانت تبغض مجدي بشكل عجيب رغم أن الفضل يرجع إليه في ارتباطهما مع بعض وتحريك بحيرة عنوستها الراكدة.. وبعد توسلها المتتالي بأن يأتي إلى مكتب شقيقتها وجد نفسه مضطرا لتلبية تلك الرغبة الجامحة لعله يخفف قليلا من شوقها إليه ويخمد اللهفة المتوقدة داخل أتون قلبها نحوه.. اتفقا على اللقاء بمكتب آمال عند الساعة التاسعة صباحا بعدما وصفت له مقر عملها ومكان المكتب بشركة المعطرات.. وصل في الموعد المحدد وأخذ يتجول بين مكاتب الشركة باحثا عنها وعن شقيقتها التي لم يسبق له اللقاء بها.. كان في غاية الإحراج خوفا من الالتقاء بشقيقها عدنان الذي سيحضرها إلى المكتب دونما يعلم شيئا.. أو زوج شقيقتها مجدي الذي من عادته إحضار زوجته آمال إلى مقر عملها.. وبينما هو يتجول داخل الشركة بحثا عن الخطيبة الضائعة التقى به أحد الموظفين فاعتقد الموظف أنه أحد المتسكعين الذين يتجولون داخل الشركة من أجل ملء أعينهم بمرأى الموظفات.. فسأله بازدراء عن حاجته فأجابه بأنه يسأل عن موظفة تدعى آمال فأجابه بأنها لم تصل بعد.. فوجد المسكين نفسه مضطرا للخروج بعيدا عن نظراته الجارحة.. وما أن غادر عز الدين مكان عمل شقيقتها حتى وصل ثنائي المرح الشقيقتان نجلاء وآمال معا فتلقاهما الموظف الآنف الذكر وأخبر آمال أن هناك شابا نحيلا سأل عنها ثم

رحل منذ لحظات قلائل.. أدركت نجلاء أنه عز الدين وتوقعت عودته مرة أخرى ولكنه لم يفعل.. ظلت تنتظره بشغف وفي مخططها أن يخرجا معا بسيارته ويذهبا سويا إلى أحد المقاهي الفندقية الفخمة كما يحدث في الأفلام المكسيكية ليقضيا وقتا ممتعا ولكنه لم يأت.

[12]

فستان الزفاف

في المساء اتصل بها فوجد أنها عاتبة عليه فشرح لها الأمر ولكنها لم تعذره.. حدثها: "أنني رغم إقامتي في الشقة بمفردي إلا أنني لم أدخل لها الحرام قط وأن الله كافأني على عفافي وصبري بأن وهب لي فتاة جميلة مثلك".. أخبرته أنها اشترت فستان الفرح "الفيلو" حيث منحتها أمها 500 دينار من أجل شرائه وطلبت منها أن يكون هدية لها هي وأختها جمانة معا بحيث تحتفظ به من تزف أولاً لأختها.. طلب منها رؤية الفستان فأبت وقالت له: "سوف لن تراه حتى يوم الزفاف".. أخبرها أن العمارة التي يقطن بها سوف يتم إخلاؤها من السكان ونقلهم إلى مكان آخر.. تضايقت من الأمر ولكنه طمأنها أن البديل سيكون أفضل.. سألها هل مللت من حياة العزوبية فأجابته: "نعم فكل فتاة تتمنى أن تستقر وتنجب أطفالا".. قال لها: "كم أتمنى أن أراك حاملا مني".. ضحكت قليلاً ثم قالت: "إن شاء الله".

سألها عن عدد الأولاد الذين ترغب في إنجابهم فأجابته أربعة أولاد.. والغريب في الأمر أنه كان نفس الرقم الذي يجول داخل ذهنه..

أخبرها أنـه يخشـى أن تحـول الحـواجز دون زواجهمـا: "فأنـا لا يسـتجيب القدر لرغباتي وما أردت شيئا إلا وحال بيني وبينه".. فأجابته بلطف: "لا أطّمّن كون هاني".. كانت تؤكد لـه بأنـها لن تكون لسواه وكـان يصدق ذلك.. مازحها قـائلا: "ارتـدي أحد فستاني النـوم اللذين اشتريتهما لـي الآن وسأرسل روحـي للمبيت معك".. فأجابتـه: "أنـا لن أرتـديهما إلا لعز الـدين ثـم إن روحـك منـذ زمـن موجـودة عنـدي وقـد أقفلـت عليهـا بالمفتاح".. قال لها: "إذن أرسلي روحك إلى شقتي الليلة".. أجابتـه أنـها ستفعل.. سألها: على أي جانب في السرير تحبين النوم؟ فأجابتـه "كلـه سواء" فقال لها إنه يحب أن ينام على الجهة اليمنى من الفراش فطلبت منه أن ينام الليلة على الجهة اليسرى فعاهدها بفعل ذلك.

شكت له من أعمال البيت المضنية في بيت أهلها فقال لها غدا ستأتي زوجة شقيقك وستساعدك.. فقاطعتـه قائلـة: "لا رد بالك اتخليني نـين يجوز خوي".. فطمأنها بـأن زفافهمـا سيكون قبلـه.. أخبرتـه عن الفستان الذي ارتدتـه لـه يوم دفـع المهر وكانـت تتوقـع حضوره فطلب منها ارتداءه له مجددا فأبت.. لأن المناسبة قد فات أوانها وهو فستان مشمشـي مفتـوح الصدر وإخوتهـا لـن يسـمحوا لهـا بارتدائـه مـرة أخـرى أمامه دون مناسبة.

حدثته عن ذهابها للمزين تلك الليلة وبأنها قد قصت شعرها الذي كـان طويلا.. فقال لها: "لم يكن هنـاك أي داع لذلك فأنـا راض بك بـلا مزين".. فأجابته بغنج: "لا أنا لازم نزين لك".

لقد سبق له رؤية شعرها من خلال الصور وقد كان شعرا قبيحا ومقصفا ولكنه مجاملة منه قال لها: "إن شعرك أصبح ملكي ولن أسمح لك بقصه مرة أخرى".. أخبرته أنها قد ذهبت للمصور وسترسل له الإيصال مع مجدي لاستخراج الصور من أجل البطاقة الشخصية.. وودعا بعضهما البعض وأغلق كل منهما هاتفه بصعوبة حتى أنها صارحته ذات مرة بأنها لا تدري من أين تأتي بالقوة التي تغلق بها الهاتف عندما ينهي مكالمته معها؟!!.

[13]

الاستئذان للخروج

وصل عز الدين إلى شقته وأثناء وقوفه ليفتح الباب تذكر كلماتها أنها سترسل روحها إلى الشقة لتبيت معه الليلة.. استذكر كلماتها الرقيقة ثم قام بفتح الباب ففوجئ بصرصورين من صراصير المراحيض كبار الحجم قد خرجا من البالوعة وأخذا يركضان في الشقة، فتبسم متمتما سامحك الله يا نجلاء أهذه هي روحك التي أردت أن ترسليها إليّ.. ثم ركض خلفهما بحذائه المتهرئ للقضاء عليهما.

بعد أيام من الحب والهيام قضاها عز الدين في الأحلام الوردية قرر الذهاب إلى عديله مجدي من أجل استلام الإيصال لاستخراج الصور الفوتوغرافية التي تخص حبيبته.. سلمه مجدي مظروفا به الوصل مع بقية الأوراق المطلوبة لاستخراج البطاقة الشخصية وكان وجهه متبرما لأنه لا يريد أن يكون رسولا هو وزوجته بين هذين

المراهقين فقد ربط بينهما وانتهت مهمته.. أخذ عز الدين المظروف وانطلق للمصور فسدد المبلغ وسحب الصور.. في الصباح وبعد تصديقها من قبل مختار المحلة قام بتسليمها للموظف المختص الذي سلمه فيما بعد إيصالا ليستلم به بطاقتها الشخصية فور صدورها.

أخبرها ذات يوم أنه أصبح يحس بأنها قد صارت زوجته وأنها أصبحت بالنسبة إليه أقرب حتى من أهله وسألها: "هل تحسين بذلك؟، وهل أنا أقرب إليك أم أن أهلك هم الأقرب"؟؟؟.. أجابته: "لا توجد مقارنة بينك وبين أهلي فأنت أقرب الناس إلي".. ذات يوم قالت له: "أنه كان لدى جيرانهم عرس وأنهم قاموا بدعوتها فلم تذهب لأنها لم تجده لتستأذن منه لأجل الخروج من البيت".. فقال لها: "إذا وصلتك أي دعوة مرة أخرى لحضور حفل زفاف ولم تجديني فيمكنك حضورها بدون إذني" فقالت له: "هذا مستحيل لا يمكن أن أخرج من البيت بدون إذنك".. فألح عليها أن تفعل فقالت له: "ألست أنت زوجي؟ ألست أنا زوجتك"؟.. فأجابها بلى، فقالت له: "إذن سوف لن أخرج من بيت أهلي إلى أي مكان إلا بإذنك".

ألحت عليه مجددا باستعمال الفرن الذي اشتراه لها بدلا من تسخين الخبز على المدفأة.. فأبى رغم الإلحاح الشديد، فقالت له: "بالنسبة لي أنا ما عنديش مانع".. فأجابها بأن هذا الفرن قد اشتراه لها وأنه لن يسمح لأي شخص باستعماله قبلها ولو كان هو شخصيا..

بعد ذلك أنهت مكالمتها معه تحت وابل من القبل مودعة إياه وهي توصيه بأن يأخذ باله من نفسه والشوق واللهفة يكادان أن يفتكا بها.

[14]

شمعدان الشموع

تمكنت كلماتها الرقيقة من إثارة الزوبعة داخل قلبه الصلد وتلاشت بقايا السياج الذي كان قد وضعه لمنع تسلل الإناث إلى أعماقه.. قالت له: "إنني اشتريت شمعدانا وفي كل مناسبة تخصنا سوف أوقد الشموع وأرتدي لك أجمل الملابس ونحتفل سويا".. فأحس بسعادة غامرة ثم قال لها بعد الاحتفال سنرقص معا على أنغام رقص غربي بطيء (اسْلُو).. فرحت بذلك وقالت له إنها لا تعرف هذا النوع من الرقص فأجابها وهو كذلك لم يسبق له أن جربه ولكن لا بأس سنتعلم مع بعض.. أخبرته أنها تجيد الرقص الشعبي الليبي وأنها تعلمته خصيصا أثناء عرس شقيقتها منال وسوف ترقص له باستمرار ثم طلبت منه أن يشتري شريطا يحتوي على موسيقى غربية بطيئة (اسْلُو) من أجل الرقص على إيقاعِها معا بعد الزفاف.

بعد ذلك أخذت في الضحك وقالت له: "سوف نفعل كل الذي نفسنا فيه".. هو يعرف ما الذي نفسها فيه وهي كذلك تعرف ما الذي نفسه فيه.. أخبرها أنه قرر أن تكون ليلة الدخلة في أحد الفنادق الفخمة في المدينة وأنه سوف يحجز غرفة للإقامة به ليلتين اثنتين.. فقالت له: "إنني أخاف أن يضع موظفو الفندق لنا عدسة لتصويرنا وأنا أفضل أن نقضي ليلة الدخلة في شقتنا".. أجابها: "لا عليك سوف نفتش الحجرة

جيدا بحثا عن أي عدسات فور دخولنا".. فضحكت وكلها شبق متمنية قدوم تلك الليلة بفارغ الصبر.. قال لها: "أحبك" فسألته: "واجد"؟؟؟ فأجابها: "واجد" فكررت مستفهمة بلكنة كلها غنج ودلال: "واجد واجد" فأجابها وكله شوق: "واجد واجد واجد".. أخبرها أنه من شدة الشوق لها سوف يحتضنها يوم الزفاف حتى تتكسر عظامها.. فضحكت ضحكة هستيرية ثم قالت له: "لا خلاص كان هضا بطلت حسك خوفتني معاش نبي نجوز". ثم أخذت تقهقه بغنج أنثوي مثير.

بعد ذلك أخبرها أن شقيقه أنور أصيب بوعكة صحية ألزمته الفراش وأنه سوف يقوم في الأيام القادمة بنقل خلايا النحل التي تخص شقيقه أنور من وادي القطارة إلى إحدى المزارع بمنطقة الهواري وهي عملية خطرة بالنسبة له لأنه ليس له دراية بالتعامل مع النحل.. فأصابها الهلع على خطيبها وحبيبها ورجته أن يأخذ باله من نفسه وكانت تعيش على أعصابها خوفا من أن يصيبه أي مكروه لا سمح الله.

[15]
فاتحة الطيب

بعد عدة أيام أجرت والدتها عملية جراحية فقرر اصطحاب أهله لزيارتهم وبالفعل رحبت الأسرة بذلك وذهبوا معه مهنئين بالسلامة ولكن الحظ لم يحالفه بالجلوس معها وتبادل الأحاديث فقد كان أخوها رفعت موجودا وهو مختلف كثيرا عن شقيقها عدنان وكان أشبه بحجر عثرة في الطريق.. تبادل مع صهره بعض الأحاديث الممتعة ثم قال له إنهم نسوا أن يقرؤوا سورة الفاتحة أثناء دفع المهر وطلب منه أن يقرآها معا.. فرحب رفعت بذلك وعندما انتهيا من تلاوتها هنأ رفعت عز الدين وتصافحا بمودة.. بعد ذلك طُرِق الباب فخرج رفعت فوجد شقيقته نجلاء وكانت محملة بألذ الحلويات فتوسلت إليه أن يسمح لها بمصافحة عز الدين فسمح لها على مضض.. دخلت والشوق يأتلق في عينيها.. كانت متلهفة أشد اللهفة لرؤيته.. سألها عن صحة والدتها فأجابته أنها بخير فقال لها إن كانت الظروف تسمح فإنه يرغب في رؤيتها وتقديم التهنئة بمناسبة سلامتها.. لم تعره أي جواب وغابت قليلا ثم عادت وطلبت منه الدخول من أجل مصافحة والدتها التي لاحظ أنها امرأة بسيطة جدا وطيبة إلى أقصى حد.. فقام بالتسليم عليها وتهنئتها بالسلامة ثم التفت إلى نجلاء ونظر إليها مليا وكأنه يشاهدها لأول مرة فهمست له بصوت منخفض خوفا أن يسمعها أحد: "رد بالك من روحك".

كانت عيناها تكاد أن تلتهماه من شدة الشوق وهي جد خائفة عليه من لسع النحل، فهو فتاها وحبيبها وهي لا تحتمل أن يلحقه أيّ أذى ثم غادرها مع أهله وعندما بلغا الباب جددت له نفس العبارة: "رد بالك من روحك".

عندما رجع عز الدين إلى شقته بدأ يفكر في تلك الكلمة: "رد بالك من روحك".. ما أجمل أن يكون هناك شخص حريص على سلامتك!.. شخص مهتم بأمورك.. يتابع أخبارك ومتعلق بك.. كم هو جميل الحب الأول والأجمل منه أن تسير المركب بسلام!!.. أخذ يهمس لنفسه.. لم يسبق لي أن أحبني أحد في حياتي مثل حب نجلاء.. سوف أضعها في عيني.. ستكون أسعد إنسان في الوجود.. سأرصف لها الدرب بالورود.. كم أنا مشتاق إليها!.. لابد أن أتصل بها الآن.. ولكن الوقت متأخر جدا سأنتظر للصباح.. كان ينام وعيناه مصوبتان نحو صورها التي زين بها حجرته المتواضعة تحت ضوء خافت آملا أن يراها في المنام.

[16]
المنحل

في اليوم التالي ذهب عز الدين إلى منحل شقيقه أنور بوادي القطارة بناء على رغبة شقيقه الذي منعته ظروفه الصحية من فعل ذلك بنفسه وقام بوضع البراويز الفارغة داخل الخلايا وربطها بإحكام من أجل نقلها وفي تلك الأثناء خرجت إحدى الملكات وقامت بالطيران إلى أقصى ارتفاع تستطيعه وتبعتها الذكور بأقصى سرعة ممكنة حتى تمكن

أفضلها من الوصول إليها وإجراء عملية التزاوج معها ليسقط قتيلا وقد بذل حياته من أجل الوصول إلى الملكة الفاتنة.. وبينما كان عز الدين يتأمل المشهد ويقوم بربط الخلايا فوجئ بما لم يكن بالحسبان وهو تصدي حية من نوع الكوبرا – وهي أشرس أنواع الحيات – كانت موجودة بجنب الحبل وكادت يداه أن تلمساها أثناء سحبه من تحت الخلية ولكنه تنبه في آخر لحظة.. دخل مع الحية في صراع مرير حيث وقفت مصوبة أنيابها نحوه ولحسن الحظ عثر على غصن شجرة كبير فرفعه وأخذ يصوب ضرباته نحوها.. بدأ الصراع بين الاثنين.. بين الخير والشر بين الموت والحياة بين الإنسان والحيّة وبعد جهد جهيد تمكنت ضرباته المتواصلة من الإجهاز عليها ولم يكن يعلم أن هنالك حيّات لا تستطيع ضرباته الواهنة مهما أوتي من قوة أن تقض مضجعها.

في اليوم التالي وتحديدا قبل غروب الشمس بقليل كان عز الدين في طريقه إلى وادي القطارة من أجل نقل المنحل إلى إحدى المزارع بمنطقة الهواري قرب المقبرة، حيث استأجر سيارة كانتر يقودها رجل طاعن في السن واصطحب معه اثنين من العمال المصريين يدعى أحدهما أحمد وهو رجل صعيدي شهم تربطه به صداقة متينة والثاني شقيق لأحمد وقد وصل إلى ليبيا منذ أيام قلائل.. وصلوا جميعا إلى المنحل ليلا وأخذ عز الدين في قفل فتحات خلايا النحل باللصقة مستعينا بالمدخن ومواجها الظلام بمصباح البطارية.. وكان العمال

يقومون بنقل الخلايا بسرعة فائقة وكاد الأمر أن يمر بسلام لولا أن هناك خلية ملعونة تمكن النحل من الخروج عبر ثقوبها ومهاجمة العمال الذين أخذوا في الصراخ والركض عبر الوادي من شدة الألم.

قام عز الدين بتهدئتهم ومساعدتهم بنفسه من أجل رفعها إلى السيارة ثم قام السائق بربط الخلايا بالحبال بعدما نال نصيبه من اللسع هو الآخر.. إن عز الدين نفسه لم يسلم وربما كان أكثرهم تعرضا للسع ولكنه كان يكتم صراخه داخله حتى لا يثبط عزيمتهم.. انطلقت السيارة مسرعة عبر الوادي في طريق غير معبد طوله قرابة خمسة كيلو مترات حتى وصلت إلى الإسفلت ثم واصلت سيرها إلى مدينة بنغازي مارة بقرية الرجمة.. وكان عز الدين يسير خلفهم بسيارته المتهالكة وهي نوع ساني عبث بها الزمن.. ونظرا لانتهاء صلاحية إجراءاتها فقد كان يتعين عليه التملص من بوابة بنينا حيث يكثر التفتيش والتدقيق مما اضطره لاستعمال طريق آخر طويل وبعيد جدا.. خوفا من حجز كتيب السيارة وهو طريق سيدي فرج.

وصل الجميع إلى منطقة الهواري سالمين حيث خيم الظلام عليها وحاول عز الدين معرفة مكان المزرعة ولكنه عجز.. سار مسافة بعيدة مخلفا المزرعة وراءه والسيارة المحملة بخلايا النحل تتبعه.. وقد ظهر التبرم والضيق على وجه السائق الذي كان عابسا طوال الطريق.. الخلية الملعونة كدرت صفوه بتسربها عبر الثقوب وهي تبحث عن أي جسم متحرك لتصب جام غضبها عليه.. أخبر عز الدين السائق أنه

خلّف المزرعة وراءه وبالتالي يتعين عليه العودة للوراء من جديد.. كانت نظرات السائق إلى عز الدين أشبه بنظرات عزرائيل.. وبصمت بركاني قام بالاستدارة خلف عز الدين الذي نجح أخيرا في العثور على المزرعة الضائعة.. عندما أراد العمال إنزال الخلايا فوجئوا بأسراب النحل قد تسربت عبر الثقوب بأعداد مهولة مما اضطره إلى بذل الكثير من الجهد لرفع معنوياتهم وزاد الطين بلة عندما أصر السائق بأن يتم تنزيل كل الخلايا على الأرض دفعة واحدة ورفض أن يسير بالسيارة وإنزالها رويدا رويدا.. كان الأحمق يحسب أنها صناديق قازوزة.. هذه الحشرات اللعينة من الصعب التعامل معها.. أنها كائن حيّ ويجب أن تكون هناك مسافة بين كل خلية وخلية حتى لا يحدث قتال عنيف بينها.

تم إنزال الخلايا من السيارة الكانتر إلى الأرض ولم يتبق سوى خلية واحدة.. إنها الخلية الملعونة التي تسرب منها النحل.. وهي خلية كبيرة الحجم وثقيلة الوزن تتكون من أربعة أدوار مليئة بالعسل وهي أشرس خلية في المنحل.

خاف العمال من إنزالها أرضا حيث هرب أحدهما وبصعوبة أمسك عز الدين بتلابيب الآخر وأعطاه قفازه وقال له: "لا تخف، إن النحل لن يصل إلى أناملك الناعمة بهذا القفاز".. وقام هو بإمساك الجهة الأخرى من الخلية بلا قفاز وقد لامست يداه فلول النحل المتسرب وهذا أشبه بحركات المقاومة النحلية.. وفي لحظة واحدة قاما معا بإنزالها إلى الأرض وكانت إبر النحل تنقض كصواريخ إسكود إلى يدي عز الدين

الذي ركض باتجاه ضوء السيارة والألم يعتصر فؤاده والبكاء يتململ داخل عينيه البائستين، حتى يزيل الإبر من يديه المتورمتين قبل أن يزداد تسرب السم داخلهما.. وما أن أتم إزالتها حتى سلم للسائق أجرته فانطلق بسيارته مبتعدا عن المكان الملسوع.. تاركا عز الدين والعمال في موقف صعب لا يحسدون عليه تحت رحمة الوخز.. حيث قام عز الدين معهم بتوزيع الخلايا على هيئة زاوية قائمة تاركين مسافة مترين بين كل خلية وخلية ثم طلب عز الدين من العمال الاختباء داخل سيارته خوفا عليهم من الخطر لرغبته في فتح مداخل الخلايا.

ما أن بدأ في فتح المداخل حتى خرج النحل أفواجا هائجة وبعد الانتهاء لم يجد سوى إطلاق ساقيه للريح حتى وصل لسيارته المتهالكة فدخلها مسرعا والنحل في إثره وقفل الباب بسرعة البرق.. ثم أنزل زر الباب (البطمة) لاشعوريا خوفا من فتحه من قبل أسراب النحل الغاضبة.. أدار محرك السيارة وانطلق بأقصى سرعة تاركا الرياح تقوم بتشتيت تلك الحشرات التي كانت السبب الرئيسي في كرهه للعسل.

نظر إلى العمال البائسين وهم يكادون أن يبكوا من الألم والتعب.. ثم نظر إلى يديه فوجدهما منتفختين ونظر إلى المرآة فوجد وجهه متورما فضرب مقود السيارة بعنف صائحا: "اللعنة!! غدا موعدي مع نجلاء كيف سآتيها بهذا الوجه المتورم؟".. ثم نظر إلى الساعة فوجدها الثالثة بعد منتصف الليل.. وبعد توصيل العمال إلى مكان سكناهم عاد للبيت فوجد أهله على أعصابهم خوفا عليه فطمأنهم ثم توجه إلى

فراشه وألقى بجثته عليه وأخلد للنوم وهو يتساءل كيف سيقابل نجلاء بوجهه المتورم يوم الغد؟.

[17]
تحديد موعد الزفاف

في اليوم التالي كان موعد سفر أنور شقيق عز الدين إلى بريطانيا من أجل العلاج حيث قام بتوديعه في مطار بنينا البائس.. لقد سافر أنور إلى بلاد الثلج وحيدا بلا رفيق.. فقد آثرت العائلة رغما عنه أن تدخر ثمن تكاليف سفر المرافق لإتمام زفاف عز الدين بناء على رغبة خطيبته الملحة.. وكان في ذلك أنانية مفرطة من طرفها.

أقلعت الطائرة وهي تقل زينة شباب مدينة بنغازي.. وقد وقف عز الدين ملوحا بيده إليه وهو يحس بالتقصير تجاهه.. كم تمنى لو داس على قلبه وسافر مع شقيقه ليكون له العون والسند هناك.. وبعد توديعه عاد للبيت والألم يعتصر فؤاده وما أن وصل حتى اتصل بحبيبة قلبه نجلاء.. تلك التي آثرتها عائلته على شقيقه.. أخبرها أن موعد العرس سيكون في شهر أغسطس ففرحت كثيرا وقد كان يتمنى تأجيله حتى عودة أنور مُعافى ولكنها أخبرته أنها مستعجلة وكانت تطلب منه دائما الإسراع بتحديد موعدٍ للزفاف.. وقد ألحت عليه أن يسرع بالحجز في قاعة العوسج للمناسبات بمنطقة الفويهات.. فلم يستجب لرغبتها نظرا لبعد هذه القاعة وزيادة تكاليفها.. بالإضافة لخطورتها على المدعوين لوجودها في مكانٍ ناءٍ مليء بالأشواك وقطاع الطرق.. وقال لها إنه يرغب بالحجز في قاعة النادي الليبي للمناسبات فلم تمانع.. أخبرها أن أهله يعتزمون زيارة أهلها للاتفاق معهم على مناصفة متطلبات الزفاف.. سألته عن المال الذي سيخصصه لملابس العروس

كم يبلغ؟ فأبى الإجابة.. بذلت قصارى جهدها لمعرفة ذلك.. وبعد إحراج شديد أخبرها أن المبلغ هو 2000 دينار.. ثم سألها بعد برهة من الصمت إن كان المبلغ كافيا فأجابته أنه كافٍ.. وبالفعل تم اللقاء بين العائلتين وكان لقاء حميميا حيث قام عز الدين بشراء باقة زهور ضخمة وقدمتها عائلته إلى عائلتها.. ولكن يبدو أن علاقتهم بالزهور كانت ضعيفة جدا أو معدومة نهائيا فقد استلمتها شقيقتها آمال ووضعتها على الأرض بدلا من إحضار مزهرية مليئة بالماء ووضعها فيها ليبهج منظرها الضيوف.

تم الاجتماع بين العائلتين وتقاسمتا برنامج العرس بينهما حيث اتفقتا على أن تتكفل عائلته بحجز القاعة وإعداد عشاء الضيوف وتجهيز الديكور بينما تتكفل عائلتها بالحلويات والمصور والفرقة الموسيقية.. وتم استلام المبلغ لتشتري به العروس ملابسها.

بعد أحاديث ممتعة بين العائلتين جاء عز الدين فقامت نجلاء باستقبال عريسها أجمل استقبال وقد انتابها القلق عليه بسبب تورم وجهه أثناء نقله للنحل وأدخلته إلى الصالون ليجلس قربها وقد كانت في أبهى زينتها وأجلست ابنة أختها الصغيرة بجانبها وهي في حوالي الرابعة من العمر ثم عرفته بها: "هذه رندا إنها أشبه باللصقة وسوف لن تتركنا مع بعض".. رحب بالصغيرة وقبلها ثم نظر إلى حبيبته وسألها: "لماذا أنت متباعدة عني بعض الشيء"؟.. فأجابته أنها تخشى أن يدخل أحد إخوتها فجأة.

أمسكت برندا وأشارت إلى عز الدين وقالت لها: "هذا زوجي وسوف آخذك إلى شقتي للمبيت معنا قريبا".. قالت تلك الكلمات وعيناها تحدقان نحو عز الدين الذي أحس بارتياح كبير وبخاصة عندما قالت سوف آخذك إلى شقتي.. تحدثا مليا.. أخبرها أنه مستعجل وأخبرته هي الأخرى أنها مستعجلة.. كان الشبق ظاهرا على محياها وتكاد عيناها أن تلتهماه من شدة الشوق.. لم يدم اللقاء طويلا فسرعان ما حان وقت المغادرة فودعها على أمل اللقاء بها قريبا.. علهما يبددان بعض الشوق الذي يكنانه لبعضهما البعض فقد أصبحا جسما واحدا وروحا واحدة.

[18]
الحجز في القاعة

في اليوم التالي ذهب عز الدين إلى قاعة النادي الليبي للمناسبات للحجز فأخبروه أنه لا يوجد سوى اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو فهاتفها بذلك فأخبرته أن عرس شقيقها رفعت سيكون يوم الخامس والعشرين من نفس الشهر وسيحدث ذلك ربكة بالنسبة للعائلة.. فذهب إلى قاعة بنغازي للمناسبات فوجد يوما غير محجوز وهو السابع والعشرين من شهر يونيو.. أي بعد أسبوعين فقط.. أخبرها بذلك فلم تمانع وعندما قال لها إن الوقت ضيق أجابته أن إخوتها قد وعدوها بأن يفرّغوا أنفسهم لأجلها وسوف يخرجون بها يوميا لشراء حاجياتها.

أخبرها أن الشقة تحتاج إلى صيانة والفرش يحتاج إلى غسل فقالت له: "لا داعي للصيانة نحنا قاعدين فيها مؤقت وبالنسبة للفرش

ما فيش داعي لغسله لما انجيب المكنسة الكهربائية امتاعي كنسه بيها وخلاص".. ثم أخبرته أنها قامت بوضع باقة الزهور التي أحضرها في كيس نايلو لكي تحتفظ بها ذكرى للأبد.. سألها عن أخبار رندا ابنة شقيقتها فأجابته أنها بخير فقال لها عندما تبيت عندنا في الشقة سوف نفسح لها مكانا بيننا على فراشنا فأجابته بالطبع فهي صغيرة وتخاف أن تنام بمفردها.

كانت على عجلة من أمرها ولكن أهله رفضوا الموعد القريب بسبب ضيق الوقت فمدة أسبوعين تعتبر مدة قصيرة جدا لأجل مناسبة حفل زفاف تحتاج للكثير من الاستعدادات.. فالشقة تحتاج للصيانة وبيت العائلة يحتاج للطلاء وهناك الكثير من الأمور الفنية التي تحتاج لوقت طويل بعض الشيء لا يقل عن شهر كامل.. اتصل بها وأخبرها بصعوبة ذلك فالوقت قصير فأشارت عليه أن يختاره قبل عرس شقيقها رفعت بأسبوع أو عشرة أيام أو بعده بنفس المدة.

إن ما يهم عز الدين هو سعادة حبيبته ولذلك قرر أن يختار يوما بعد عرس شقيقها حتى تصبح عروس الختام ولا يخمد بريقها بعروس شقيقها فهو لا يريد أن يسلب أي شخص منها الأضواء.. ثم أخذت تلح عليه: "عدي احجز في الصالة يا عز الدين".. فذهب إلى قاعة المناسبات بالنادي الليبي فوجد بها يوما شاغرا ومناسبا وهو اليوم الثالث من شهر أغسطس أي بعد عرس شقيقها بتسعة أيام فطلب من موظفة القاعة حجز ذلك اليوم لحسابه واتصل بنجلاء هاتفيا ليخبرها

عن آخر التطورات فسألته: "هل دفعت لهم المبلغ"؟؟؟ فأخبرها أنه لم يفعل ولكنهم وعدوه بحجز ذلك اليوم لزفافه فقالت له: "ما ينفعش يا عز الدين عدي ادفع الفلوس توا بيش اتأكد الحجز".. فاتصل المسكين بأخيها رفعت ليتأكد من رأي عائلتها ويثبت الأمر مع الرجال فلم يمانع.. فخرج مسرعا إلى قاعة المناسبات من أجل تسديد المبلغ وكان ألفاً وخمسين دينارا.. بعد ذلك طلب من الموظفة المختصة أن تسمح له برؤية القاعة فسمحت له.. دخل وهو منشرح الصدر وتأمل المقاعد ثم ألقى نظرة نحو المسرح حيث ستجلس العروس وتخيل حبيبته نجلاء جالسة هناك وهو جالس بجانبها.. ثم خرج وهو في حالة سرور لم يحس به من قبل طيلة اثني وأربعين عاما.. وهو يردد داخل نفسه: "أخيرا الدنيا ابتسمت لي".. بعد ذلك اتصل بحبيبته وأخبرها أنه قد قام بتسديد المبلغ للقاعة ففرحت بالخبر وكادت أن تزغرد تعبيرا عما تحس به من غبطة وسرور وازدادت سرعة أنفاسها لهفة وشوقا.. وأصدرت دقات قلبها وجيبا عاليا وارتفع نبضها بهجة وسرورا.

[19]

شراء ملابس العروس

بدأت نجلاء في شراء ملابسها وحاجياتها بأسرع ما أمكنها.. فقد كانت خلال الأيام الماضية تتجول بين المحلات لمعرفة البضائع التي يحتوي عليها كل محل.. ولم يقصر إخوتها معها حيث كانوا يخرجون بها صباحا ومساء من أجل التسوق.. تمكنت من تجهيز كل ما تريد خلال زمن قياسي قصير.. ولم يأل عز الدين جهدا فقد بدأ بصيانة الشقة وكانت أولى الخطوات التي بدأ بها هي صيانة الحمام حيث قام بتغيير المواسير المتآكلة بمواسير جديدة تليق بحبيبته واستغرق ذلك عدة أيام.. وأثناء تصليح السباك لحوض الغسيل اكتشف عز الدين أنه منخفض جدا فخاف أن يصطدم الصغار به.. وفي تلك الأثناء تخيل أن نجلاء تدخل برندا ابنة شقيقتها إلى الحمام ثم يصطدم رأس الطفلة بالحوض.. خاف المسكين على الصغيرة وأخذ يفكر في حل لرفع الحوض تحاشيا للأذى.

في المساء اتصل بنجلاء فأخبرته أنها حصلت على وظيفة.. هنأها من كل قلبه وتمنى لها التوفيق.. قالت له إن مكان العمل قريب من الشقة فأجابها: "أن هذا رائع فهي بهذا يمكنها الذهاب إلى عملها على قدميها".. فأجابته باندهاش: "لا يا عز الدين أنا نبيك توصلني بروحك لمكان عملي ما تخلينيش نمشي بروحي".. فقال لها: "لا عليك يا حبيبتي سوف أحرص على توصيلك بنفسي".. شكت له من صعوبة المواصلات فأجابها بأنها كلها أيام وتُحل هذه العقدة.. طلبت منه أن

يعلمها قيادة السيارة خلال فترة شهر العسل فوعدها بذلك ثم ودعها على أمل اللقاء بها قريبا وهي في ذروة الشوق لرؤيته.

كانت شقته تعاني من نقص في المياه فرغم وجودها في منطقة جديدة بحي قاريونس إلا أن هناك مشاكل تتعلق بخزان المياه ونظافته.. فقرر أن ينفصل عن خزان العمارة فاشترى خزانا صغيرا ومضخة جديدة وعددا من المواسير وقام بتأجير سيارة لنقل المستلزمات إلى العمارة برفقة اثنين من العمال لرفع الحاجيات إلى سطحها.. لم يتمكن عز الدين في تلك الفترة من ارتداء ملابس أنيقة لوجوده الدائم مع العمال والسباكين حيث لم تفارق يده أياديهم.. بالإضافة إلى أنه لم يتمكن من حلق لحيته وقد كانت من عادة العرسان ألاّ يحلقوا لحاهم حتى يوم الزفاف.

وصلت السيارة فأمر العمال بنقل الخزان والمواسير إلى السطح على أن يكون العمل باليومية.. ثم تركهم وذهب إلى السباك بمحله ليخبره عن وصول المواد ليباشر عمله ولكنه لم يجده وأثناء عودته التقى بخطيبته نجلاء وشقيقتها حيث كانت تتسوق.. ولكنه لم يتمكن من معرفتها بسبب الحجاب فهذه أول مرة يشاهدها محجبة.. وقال في نفسه: "إن هذا الوجه ليس غريبا عني" وحاول التذكر.. وفي اللحظات الأخيرة تمكن من معرفتها فحاول الابتعاد بسبب سوء هندامه ولكنها رأته.. تبادلا التحية وهو في أشد الحرج.. عند ذلك قالت شقيقتها آمال التي لم يسبق لها الالتقاء به: "نجلاء أنت لم تعرفينا على الأستاذ"..

وأشـارت نحـوه.. أجابتهـا نجـلاء: "إنــه عـز الـدين خطيبـي".. تبسـمت شقيقتها ثم أفسحت لهما المجال للتحدث مع بعضهما.. قال لها: "أتمنى ألاّ تكوني قد غيرت رأيك بي بعد مشاهدتي في هذه الثياب الرثة".. أجابته بلطف: "نحن اخترنا شخصيتك ولم نختر شكلك".. كانت تعلم أنه يقوم بصيانة شقتهما وأن هناك بعض الأعمال البسيطة يقوم بها بنفسه.. أخبرها أنه قد استخرج الإيصال الخاص بالبطاقة الشخصية التي كانت تريدها من أجل تجديد جواز سفرها.. فلم تعر الأمر أي اهتمام قائلة: "لم يعد الأمر مهما فقد قامت شقيقتي منال بتغيير الهدية من تذاكر سفر لقضاء شهر العسل في مصر إلى شفرة هاتف شركة ليبيانا" ـ كان ثمن الشفرة ثلاثمائة دينار في ذلك الوقت ـ ثم أخبرته أن سبب تغيير الهدية كونها شكت لشقيقتها منال بأنها مشتاقة لسماع صوت عز الدين وأنها تجد صعوبة في الاتصال به بسبب وجود إخوتها عند الهاتف الأرضي وبعضهم يرفضون الاتصال بينهما وأخبرته أن منال قالت لها: "إنني سأشتري لك الشفرة هدية زواجك وعلى عز الدين أن يشتري لك النقال".

وقعت تلك الكلمات على عز الدين كوقع الصاعقة فهو غير قادر على شراء الهاتف في الفترة الحالية لأنه مقدم على مشروع زفاف وبحاجة إلى كل مليم.. ثم أنها تعلم أنه هو شخصيا لا يمتلك هاتفا نقالا.. وتساءل لماذا تتسبب في إحراجه؟.. ثم إنه من المفترض ألاّ تطلب منه شيئا إلا بعد الزواج.

قالت له تلك الكلمات التي من خلالها علم مدى العشق الذي تكنه له وتمنى أن يكون جديرا به.. ثم طلبت منه ألاّ يخبر زوج شقيقتها بالأمر لأن منال قد اشترت لها الشفرة بدون علم زوجها.. هذا ما أخبرته به ولكن الحقيقة أن لا علاقة لمنال بالموضوع.. فقد قامت نجلاء بشراء الشفرة من المبلغ الذي أعطاه لها من أجل شراء الملابس وحاجيات العرس.. تبادلا الحديث غير الشائق بالنسبة إليه في الطريق العام وعلى مرأى ومسمع من الناس.. بينما العمال الذين أحضرهم لنقل الحاجيات للسطح جالسون للراحة منتهزين فرصة غيابه عنهم ولم تكن تريد تركه فهي مشتاقة جداً إليه.. أخبرته أنها ترغب في أن تختار الدبلة بنفسها فقال لها إن الدبلة هي هدية مني إليك فدعيني أختارها لك بنفسي.. أخبرته أن أهلها قد أعطوها ألف دينار من أجل شراء بعض الذهب لها.. وبدوره أخبرها عن العمال الذين ينتظرونه وأنه غارق في الصيانة وأنه قد اشترى لها خزانا خاصا للتخلص من أزمة شح المياه.. ثم استأذنها بالانصراف، فسمحت له وهي تتمنى أن يترك كل شيء ويبقى معها بعض اللحظات وهو كذلك يتمنى ذلك ولكن الوقت لم يعد يسمح فالزفاف بعد أيام قليلة ولا يوجد في العائلة سواه.. فأخوه الأصغر حافظ مشغول بالجامعة أما أخوه أنور فهو في الخارج من أجل العلاج وعليه بمفرده الانتهاء من صيانة الشقة وبيت الأسرة في أسرع وقت ممكن.. فهناك كثير من أعمال الصيانة التي كلما فتح منها بابا شُرّعت عليه العديد من الأبواب.. وكلما حاول إغلاق أحدها فوجئ

بالعواصف تقتلع النوافذ.. وقد كابد الأمرّين من أجل أن ترسو سفينة زفافه على الشاطئ بسلام.. باذلا قصارى جهده خوفا عليها من الغرق قبل الإبحار.

[20]
الطلاء المشمشي

بعدما انتهى عز الدين من توصيل المياه من الخزان الجديد إلى الشقة جاء دور الطلاء.. فقام بفك الأثاث الموجود بالشقة وهو المكتبة ودار النوم وقام بنقل الفرش إلى بيت العائلة من أجل غسله فهو وإن لم يُستعمل إلا أنه مغطى بالغبار.. استعد الدهان لبدء العمل حيث قدم لعز الدين قائمة مليئة باللوازم التي يحتاج لها على أن يقوم بالطلاء في اليوم التالي.. وبعد أن أحضر عز الدين له كل ما يلزمه قام بالاتصال بحبيبته نجلاء ليخبرها عن آخر التطورات.. قال لها: غدا سيبدأ الدهان بطلاء الشقة وأنه قد أحضر كل التجهيزات.. فوجئ بتدخلها في عمل الصيانة قائلة: "أريدك أن تطلي لي غرفة الجلوس وغرفة النوم وغرفة الصالون باللون المشمشي كما أريدك أن تطلي النصف الأرضي من الشقة بالطلاء الزيتي بينما العلوي بالطلاء المائي".. حاول جاهدا إقناعها أن أفضل الألوان هو اللون الأبيض وأن الجدران تعتريها الرطوبة ومعرضة للتآكل وأن اللون الزيتي لا يثبت عليها ولكن دون جدوى.. بعد أخذ ورد أجابته بلهجة حادة قائلة: "الشقة شقتك وافعل بها ما تريد".. فرد عليها: "بل الشقة شقتك وما تريدينه هو الذي سيُفعل" ثم ودعها وهي في حالة غضب شديد.. أما هو فقد كره المشمش للأبد.

في اليوم التالي جاء الدهان باكرا وأراد أن يزاول عمله فأخبره بمشروع الألوان المشمشية.. اعترض الدهان على طلاء الصالون بهذا اللون قائلا إن هذا اللون نسائي والصالون خصص للرجال ثم بدأ في مباشرة عمله الشاق والمضني.. في تلك الأيام كان عز الدين يقيم في الشقة حيث الطلاء والرديم والغبار.. وبسبب ضيق ذات اليد كان يقوم بكثير من أعمال الصيانة بنفسه لتجهيز الجدران للطلاء وذلك بإخراج جميع ما فيها من أثاث ثم إزالة الطبقة الإسمنتية الهشة من على الجدران والسقف ووضع الإسمنت الجديد بدلا منها.. بالإضافة إلى إزالة المسامير والنتوءات.. كان عملا شاقا وبخاصة أنه ليس ماهرا في هذا الشأن ولكن من أجل عيون نجلاء لم يكن يحس بالتعب.. كان يقوم بترميم السقف بنفسه فيزيل الطبقات الهشة ويملؤها بالإسمنت خوفا من أن تسقط فتصيب جبهة نجلاء الكبيرة الخالية من الشعر.. أصبح يأكل ويشرب مع العمال ويعد لهم الشاي ويقوم بتدليلهم وكانوا يعملون بكل ما أوتوا من قوة فالوقت أصبح ضيقا جدا.. حاول جاهدا الاستفادة من كل لحظة لدرجة أنه كان يعمل لمدة ست عشرة ساعة يوميا وفي أحايين كثيرة لا يسعفه الحظ بالاستحمام فينام بأوساخه على فراش قذر مليء بالغبار ووسادة نتنة متدثرا بدثار خشن متسخ بسبب الرديم المتراكم عليه.. محاطا برائحة الطلاء القاتلة.. ورغم كل ذلك فقد كان سعيدا جدا.. إنه يحب نجلاء حبا جنونيا.. هذا الحب الذي زرعته في قلبه عنوة فتمادى وتطاول حتى علا على السحاب.. سألها عن التركيبة

البيولوجية للون المشمشي اللعين فأجابته: "ضع الأصباغ وجرب حتى تجد اللون".. فما كان على المسكين سوى أن يطلب من الدهان أن يطلي غرفتي النوم والجلوس باللون المشمشي.. فعل ذلك بناء على رغبتها فقد عجز عن إقناعها باستحالة ذلك بسبب الرطوبة التي ستلزمهما بطلائه من جديد وسيجد معضلة في تركيبة اللون مرة ثانية.. ولكن ذهبت محاولات إقناعها سدى.. قام الدهان بإحضار صبغتين إحداهما حمراء والأخرى صفراء ومزجهما مع الطلاء ووضع يده في السطل وبدأ يحركه ويضيف حتى تمكن من إعداد هذا اللون القبيح بالنسبة لعز الدين والجميل بالنسبة لنجلاء.. ثم بدأ في طلاء حجرة الجلوس على مضض.. في تلك الأثناء دخل حافظ أخو عز الدين الأصغر ففوجئ بهذا اللون الفاقع وظن أن الدهان قد ضحك على أخيه باختياره ولم يكن يعلم أن هناك أوامر عليا قد أصدرت إليه من قبل بنتاغون نجلاء وأنه كان مرغما.. ولم يشأ عز الدين أن يفصح عن صاحب الرغبة الحقيقي ولكن الدهان أدرك أصول اللعبة فسأل عز الدين: هل خطيبتك هي التي طلبت منك طلاء الغرفتين بهذا اللون؟ فأجابه بالنفي.. كان الدهان يدعى محمد الزواق مصري الجنسية وهو رجل طيب جمعه القدر به عندما كان جالسا يلتقط رزقه عند الضريح المهدم للشهيد عمر المختار.. وقد نشأت بينه وبين عز الدين صداقة متينة وكان أول المدعوين لحضور وليمة العرس التي كان كل الأصدقاء ينتظرونها بشغف.

[21]
الديكور

بعد أن نفّذ عز الدين لنجلاء رغبتها على مضض اتصل بها ليعرف آخر أخبارها وأخبرها أنه قام بطلاء حجرة النوم والجلوس باللون الذي رغبته.. لم تقدم له حتى كلمة شكر على ذلك بل أخبرته أنها ترغب في أن يسمح لها بأن تختار ديكور المسرح والدبلة بنفسها.. أجابها: إن الديكور يخص أسرته وعلى كل أسرة أن تلتزم بما كلفت به وإن الدبلة هي هدية منه لها ومن المفترض أن يختار المُهدِي الهدية وليس المُهدَى إليه.

لم تعجبها الكلمات التي تفوّه بها عز الدين فقد اشتمت بها رائحة تمرد من حبيب ظنت أنه أصبح خاتما في إصبعها.. ثم عقّب: "هل نحن تدخلنا في حلوياتكم أو مصوركم أو فرقتكم"؟.. قالت له بتهكم: "نحنا حا انجيبوا أفضل حلويات في السوق حا انجيبوا تورتات".. فرد عليها: "ونحن أيضا سنحضر أفضل ديكور في السوق فلا تقلقي".. ثم اعتذرت كونهم لا يستطيعون إحضار الفرقة الموسيقية لأنها حرام وأنهم سيستبدلونها بشريط يحتوي على مجموعة من الأغاني (D.J).

كانت تلك حجة تستعملها العائلات البنغازية للتخلص من تكاليف الفرقة باسم الدين والتقوى واستبدالها بالشريط لأنه لا يكلف كثيرا وعلى كل حال هم أحرار فيما يرونه مناسبا.. انتاب نجلاء غضب شديد بسبب ممانعة عز الدين السماح لها باختيار ديكور المسرح والدبلة.. ثم طلبت منه القدوم إليها في مقر عملها غداً ليحضر لها إيصال البطاقة

الشخصية التي استخرجها لها.. طلبت منه إحضاره بناء على رغبة إدارة العمل من أجل توقيع العقد.

إن مقابلة الخطيب لخطيبته تعتبر موضوعا مربكا جدا أثناء أيام العرس فقد كلفه ذلك ترك كل ما في يده من مشاغل والذهاب إلى بيت العائلة والاستحمام وحلق شعر الذقن ولبس أفخم ما يملك من هندام.. في الصباح عندما كان أمام مكان عملها فوجئ برجال الأمن يمنعونه من الدخول فأخبرهم أنه يريد الآنسة نجلاء فلم يعرفوها فأراهم إيصال البطاقة الشخصية الذي يخصها وكان يحتوي على صورتها الشخصية وأخبرهم أنه قادم من أجل تسليمه لها.. لم يلبث طويلا حتى سمحوا له بمقابلتها في الممر الذي يتوسط المكاتب فسلمها الإيصال فأخذته دون أن تقدم له كلمة شكر واحدة كالعادة ثم وضعته في جيبها وقالت له بصوت حنون وناعم: "عز الدين أمتى تشري لي النقال".. فأجابها أنه يمر بظروف قاسية وصعبة هذه الأيام بسبب الإعداد للعرس وعليها أن تصبر قليلا حتى يتقاضى راتبه في نهاية الشهر.. تبسّمت وقالت له: "إن ما يهمني هو أن يكون النقال هدية منك فإن كان ينقصك المال فسوف أعطيك إياه، أنا أستطيع أن أشتريه بنفسي ولكنني أريده أن يكون هدية منك".. أكد لها أنه سيحضره لها فور نزول الراتب في نهاية الشهر وعليها أن تصبر قليلا.. وقد كان راتبه مئتي دينار وأرخص نقال في السوق ثمنه نصف ثمن راتبه في ذلك الوقت.

[22]

النقال

بمجرد أن استلم عز الدين راتبه قام باقتطاع نصفه لتلبية رغبة نجلاء، غير أنه لم يجد الوقت الكافي لشراء النقال بنفسه فقد كان مشغولا مع العمال في صيانة الشقة ولذلك طلب من شقيقه الأصغر حافظ أن يقوم بشرائه بدلا عنه.. خاصة أنه لا خبرة له في شراء الإلكترونيات.. بينما حافظ شاب ضليع وماهر وعلى دراية بمخترعات العصر.. إذا دخلت غرفته اعتقدت نفسك في مركبة للفضاء.. فهي تعج بالعديد من الأجهزة الإلكترونية وأسلاك الكهرباء تنتشر على الأرض مثل خيوط العنكبوت.. وهو الوحيد في البيت الذي يمتلك هاتفا نقالا.. ولديه القدرة على تصليح أي جهاز إلكتروني.

استلم حافظ المبلغ وذهب لشراء النقال رغم انشغاله الشديد هو الآخر.. قال له عز الدين أريده من نوع 1100 المعروف باسم (البيلة) وطلب منه تجريبه قبل شرائه.. ولم يتمكن من مرافقته بسبب صيانة الشقة فهو إن غاب عنها لحظة فسوف لن تجد نجلاء العمل كما تشتهي.. وكل همه أن يقدم لها أجمل ما يستطيع تقديمه.

هناك سوق متخصص للأجهزة الإلكترونية يدعى "سوق الحديقة" وهو سوق جديد يتوسط مدينة بنغازي.. منظم ومرتب ويمكنك أن تجد به ما تريد بسهولة ويسر.. دخل شقيقه حافظ إلى السوق وأخذ يتجول بين أزقته بحثا عن نوعية النقال الذي طلب منه شقيقه عز الدين شراءه.. ولسوء الحظ لم يجد هذه النوعية في السوق فقد اختفت بقدرة

قادر وأخذ المسكين يتجول من زقاق إلى زقاق باحثا عنه حتى وجد أخيرا محلا لديه قطعة واحدة موجودة في العرض.. اشتراه بعد تجريبه وعاد إلى البيت دون أن ينتبه لاسم المحل أو الزقاق الذي يوجد فيه.

وصل عز الدين إلى بيت العائلة وكان منهكا بسبب العمل العضلي الذي يقوم به في الشقة وما أن وضع رجله على عتبة الباب حتى سلمه حافظ النقال الذي أوصاه بشرائه.. أمسك النقال بلطف وقال لنفسه هذا نقال العائلة . يقصد عائلته الجديدة هو ونجلاء . ثم قام بالاستحمام وتغيير ملابسه وحلق ذقنه وانطلق متوجها إلى بيت خطيبته في منطقة الصابري راميا كل شيء وراء ظهره.. وكانت المسافة بعيدة بالنسبة لشخص يقيم بمنطقة بوهديمة.

في الطريق أخذ يبحث عن محل يقوم بتغليف الهدايا لتغليف هديته المتواضعة حتى تبدو في منظر أبهى وأجمل.. ولم يتمكن من تحقيق ذلك بيسر.. ثم وصل إلى بيت نجلاء فاستقبله شقيقاها رفعت وعدنان بكل مودة وألحا عليه في الدخول فأبى.. قام بتسليمهما الهدية المغلفة ولم يكونا يعلمان ما بداخلها ثم غادرهما على أمل اللقاء بهما كصهر عن قريب.

اعتقد عز الدين أن القرحة قد نكئت وأنه تمكن بشق الأنفس من تنفيذ رغبتها الجموحة ولم يكن يعلم أن رغباتها مثل السيول الجارفة كلما انتهى من تحقيق رغبة فوجئ بأخرى فهي فتاة عاشت حياة فقيرة وكل أملها أن يحقق لها فتى أحلامها كل ما تصبو إليه.. بالإضافة إلى

تركيبتها الفسيولوجية كونها تحتوي على جينات غجرية جبلت على التسول.. وقد أساءت الاختيار فرجل مثل عز الدين محدود الإمكانات يصعب عليه إرضاء فتاة غزيرة الرغبات وبالذات في الفترة الأخيرة أثناء الاستعداد لحفل الزفاف.. فهو بحاجة إلى كل مليم ولكن نجلاء رأت فيه البقرة الحلوب التي يمكنها عن طريقها تحقيق رغباتها التي بدأت تنساب كقطع الليل المظلم.. حاول الاتصال بها فلم يتمكن وكان رد الهاتف كلما اتصل بها: "هذا الخط خارج نطاق التغطية".. وبعد عشرة أيام تمكن من ذلك ولكن عن طريق الهاتف الأرضي.. أخبرته أنها كانت تنتظر منه مكالمة لأمر عاجل ومهم.. سألها ما هو ذلك الأمر.. فأجابته: إن هناك عطلا بالنقال الذي اشتراه لها وقد ذهب أخوها عدنان من أجل إصلاحه فاكتشف الفني أن الجزء الخاص بالشحن غير صالح وسألته هل هو مستعمل أم جديد؟ فأجابها بأنه جديد.. بعد ذلك طلبت منه إرجاعه للمحل الذي اشتراه منه.. أخبرها عز الدين أنه قد مر على شرائه عشرة أيام وهذه مدة طويلة ومن الصعب أن يقبل المحل بذلك ولكنه سيحاول استبداله.. في المساء ذهب إلى بيتها من أجل أخذه رغم أنه غارق حتى أذنيه في الصيانة ولا وقت لديه.. أخبروه أنها خرجت للتسوق وأعطوه النقال مع كتاب بعنوان (الزواج الإسلامي) الذي سبق أن أخبرته عنه.. ثم رجع إلى بيته وسأل أخاه حافظاً عن المحل الذي اشترى منه النقال اللعين فأجابه أنه لا يعرف فقد التبس عليه الأمر أثناء البحث عن هذا النوع الذي انقرض فجأة بقدرة قادر.

[23]
التفريش

كانت نجلاء تلح على عز الدين بأن ينهي مشروع الصيانة بأسرع وقت ممكن لأنها ترغب في نقل ما يخصها من أثاث إلى شقتهما فقد ضاقت حجرتها بما تعج به.. كما أن أهلها يحتاجون لحجرتها من أجل الضيوف الذين سيتقاطرون من كل حدب وصوب من أجل زفاف أخيها.. بذل عز الدين قصارى جهده من أجل ذلك وعندما تمكن من صيانة الشقة ولم يتبق غير بعض الأمور البسيطة اتصل بها عن طريق هاتفها الأرضي وأخبرها أن الشقة شبه جاهزة فإن كان من سيحضر حاجياتك رجالا فيمكنهم ذلك الجمعة القادمة وإن كنّ نساء فعليك الانتظار حتى الجمعة التي تليها لإتمام بعض الأشياء.. أجابته بل الجمعة التي تليها حتى تتمكن النساء من الحضور وترتيب حاجياتها كما ينبغي.. تحدثا مليا عن حياتهما المستقبلية وعن عشهما الزوجي الذي ينتظرهما بفارغ الصبر.. ثم سألته هل اشتريت شريط الموسيقى (الاسلو) من أجل الرقص عليه فأجابها بأنه لم يفعل بعد.. فأخذت تلح عليه بأن يشتريه بأسرع وقت ممكن.. أخبرته أن لديها بعض الاستعدادات التي يتعين على العروس أن تقوم بها فسألها وما هي هذه الاستعدادات؟ فأجابته بأنها أشياء خاصة بالعروس.. طلب منها أثناء دخوله إلى القاعة يوم الزفاف بأن توصي فنّي الإذاعة أن يضع الأغنية الأردنية الشهيرة التي يقول مطلعها (خطابة خطابة جيناكم خطابة) فأجابته بأنها لم تسمع بهذه الأغنية من قبل.. ثم أخبرته أن أهلها قد

منحوها ألفي دينار من أجل شراء بعض الذهب وقد كان سبق لها أن قالت له ألفاً فقط.. ولكن ليست هناك مشكلة فالفخفخة عادة مقيتة جبلت عليها كل النساء.. قال لها ما رأيك لو نمثل دور العريس والعروس على الهاتف حتى لا نرتبك أثناء جلوسنا معا في الكوشة؟. ضحكت ضحكة يشوبها فرح غامر ثم قالت: ليس لدي أي مانع لنبدأ إذن.. قال لها: عندما أدخل إلى القاعة فأول شيء أفعله هو إزالة الطرحة من على رأسك ثم أقبلك وأجلس إلى جانبك.. ضحكت من كل قلبها شوقا وتلهفا ثم استرسل في الحديث قائلا: بعدها أطعمك وتطعمينني من "التورتة" وتسقيني وأسقيك من العصير ثم أضع يدي على يدك والأخرى على خصرك ونخرج سويا إلى فندق تيبستي.. قهقهت بلطف وسألته: وماذا بعد؟. أجابها ندخل المصعد مع المرافقين ونمضي إلى حجرتنا ثم نودعهم وندخل سويا ونغلق علينا باب الحجرة بالمفتاح ثم؟؟؟.. أخذتها نوبة من الضحك الهستيري الجميل ثم عقبت: "ندخل دنيا".. الآن هو قد استوعب الدرس وفهمه جيدا وعليه أن يتبع تلك الخطوات بنجاح.. طلبت منه أن يقود السيارة بنفسه يوم الزفاف فأبى وقال لها إن العريس أشبه بالملك وعلى الحاشية أن تقوم بهذه الأعمال البسيطة.

قام عز الدين بإعداد جدول زمني ووضع فيه الأيام حتى يوم العرس وأخذ في كل يوم يشطب يوما وكانت الأيام تمر ببطء قاتل حتى كان يوم الجمعة وهو اليوم الموعود لأجل نقل حاجيات نجلاء إلى بيتها

الجديد رغم وجود بعض الأعمال البسيطة التي تحتاج إلى تشطيب مثل تصليح باب الحمام وغير ذلك ولكن العمال في إجازة وورش النجارة مقفلة.. فوجد نفسه ملزما بالقيام بذلك بنفسه.. نهض عز الدين باكرا وتوجه إلى "سوق المصرية" واشترى آلة كشط "فأرة" وذهب مسرعا إلى الشقة من أجل تركيب باب الحمام.. كما أحضر عاملا لتنظيف سلالم العمارة وإزالة القاذورات.. وقد استغرق كشط باب الحمام منه وقتا طويلا حتى أنه لم يحضر صلاة الجمعة رغم سماعه الآذان.. ثم حاول ثقب الجدار بالترابلو من أجل تثبيت الماسورة الخاصة بستارة الاستحمام فلم يحالفه الحظ بسبب عطب بالترابلو حتى داهمه الوقت فاضطر للمغادرة قبل وصول أسرة العروس إلى الشقة.. لم يتمكن في ذلك اليوم من تناول وجبة الغداء بسبب ضيق الوقت ولم يتمكن من أداء صلاة الجمعة التي كان حريصا عليها إلى حد ما.. غادر المكان رغم إلحاحها الشديد عليه بأن يكون حاضرا ليستقبل أهلها بنفسه.. غير أنه لم يلب رغبتها بسبب اختلاف الثقافات.

إن حضور العريس أثناء "التفريش" وهو جلب العروس لأثاثها وملابسها يعتبر أمراً غير لائق اجتماعيا.. ومن الأفضل عدم وجوده في هكذا موقف وفضل أن يحضر أخوه الصغير حافظ وإيهاب ابن شقيقته.

اتصل بها ليعرف هل أهلها في الطريق إليهم أم لا يزالون مكانهم؟. فأجابته أنهم متوجهون الآن نحو الشقة، ثم طلبت منه عدم رمي الصناديق التي تحتوي على حاجياتها قائلة: "بما أن الشقة عرضة

للهدم وأنهم سينقلوننا إلى مكان آخر فيا ليتك تحتفظ بالصناديق حتى لا يتعبنا نقل الحاجيات أثناء الانتقال إلى المكان الجديد".

وصل أهل العروس أخيرا إلى الشقة وعلت الزغاريد من كلا الجانبين.. وتم استقبالهم استقبالا عظيما.. لم يحضروا معهم عمالا بناء على رغبة نجلاء حيث أخبرتهم أن عز الدين قال لها سأتكفل بإحضار العمال رغم أن ذلك لم يحدث.. ولحسن الحظ أن هناك عمالا أصدقاء له كانوا موجودين بالقرب من المكان.. فتداركوا الموقف من تلقاء أنفسهم وقاموا بنقل الحاجيات إلى شقته في الدور الثاني.. لاحت هناك عبارة غير صحيحة من قبل شقيقة نجلاء الكبرى إذ قالت لأهله عن العمال: "إننا نحن الذين أحضرناهم معنا".

أخذت شقيقتها الكبرى المدعوة منال تجول وتصول ساعية لإحداث مشكلة مع أهل عز الدين.. طلبت بأن تكون بطاقة الدعوة خاصة بعائلة واحدة فقط وأخرجت بطاقة دعوة زفاف أخيها وقالت نريدها مثل هذه.. وقد أحدث ذلك أزمة مفتعلة فالمعروف في الأعراس المشتركة أن تحتوي بطاقة الدعوة على اسم كل من العائلتين.

أجابوها إن عز الدين قد كتب الصيغة فغضبت منال أشد الغضب وحاولت أن تعبر عن غضبها ببعض التصرفات غير المهذبة.. كان هناك أحد أجزاء الصالون الخاص بنجلاء لم يتمكن العمال من إدخاله في حجرة الصالون بسبب ضيق الباب فقررت تغيير نظام الحجرات وذلك بإخراج الصالون إلى حجرة الجلوس ونقل حجرة الجلوس إلى الصالون..

ولكنها لم تستطع بسبب ضيق الباب.. فأخذت في سحبه مع شقيقاتها آمال وجمانة بقوة مفرطة مما أدى إلى شرخه وشرخ الجدار.. وسدى ذهبت محاولات إقناعها في ترك كل شيء على ما هو عليه حتى يأتي عز الدين ويقوم بذلك.. كانت تزفر وترغو كأنها وحش كاسر.. لم تتمكن من إحداث أي مشكلة فقد آثر أهل عز الدين الانزواء جانبا حبا في السلامة.. ولم يكونوا يعلمون أن منال لا تحب أن تضيع أوامرها أدراج الرياح.. وهي لم تنس إهمال مكالمتها الهاتفية منذ فترة من أجل أن تختار شقيقتها نجلاء الديكور بنفسها.. حيث امتلأ قلبها غيظا وأصبح هدفها في الحياة هو قلب هذا العرس على رأس أهل العريس.

تم ترتيب الشقة على أكمل وجه وطلبت منال ألاّ ترمى الصناديق والأكياس التي جلبن فيها الحاجيات.. وقد مضى كل شيء بسلام إلى حد ما غير أنه لوحظ أن ما قامت نجلاء بجلبه كان مجرد أدوات للمطبخ والحمام وصالون أرضٍ مشمشي وبعض الأشياء الأخرى وأنه لا توجد أي قطعة من الملابس المتعارف عليها أثناء الأعراس.. فهي لم تحضر حتى جوربا أو منديلا أو ملابس داخلية وكانت حجتها عندما اتصل بها عز الدين مستفهماً: "إن السيارات لم تتسع لكل حاجياتي".. رغم أن هناك اتساعا كبيرا بها ولكن لكل إنسان خصوصياته.

بعد مغادرة شقيقات نجلاء للشقة ـ التي كادت أن تتهاوى بسبب وقع خطوات أرجلهن العنيفة ـ حضر عز الدين وكعادة كل عريس أراد أن يتفقد الشقة بعد وصول حاجيات عروسه وحبيبته.. تأمل الأشياء التي

حدثته عنها.. وقد كان منهكا بالكاد يستطيع الوقوف على رجليه لعدم تمكنه من حضور وجبتي الغداء والعشاء.. جلس على أحد المقاعد ليلتقط أنفاسه فقد أصبح العرس قاب قوسين أو أدنى وكلها عدة أيام وستكون حبيبته معه داخل عشهما السعيد.

[24]
عيد ميلاد نجلاء

لم يمكث عز الدين في الشقة كثيرا فبمجرد أن عاد أهلـه إلـى بيت العائلـة بمنطقة بوهديمـة حتـى قرر أن يـذهب إلـى مقر عملـه مـن أجل الاتصال بنجلاء.. لقد حمل جسده المترهّل عنوة إلى هناك شوقا إليها.. أخبرها أن كل شيء جرى كما تحب.. ولكنها كما العادة عندها فرغباتها لا تنفد فبمجرد أن اتصل بها طلبت منـه أن يطبـع بطاقـة الـدعوة لكل أسرة في بطاقة تخصها.. أجابها أنـه كتب الصيغة وقد سبق أن قرأها عليها فأعجبتها وفرحت بها.. ولكنها اليوم فاجأتـه برغبـة مخالفة وأنـها رغبـة أمـها التـي يجب أن تتحقق.. لـم تكـن هنـاك مشكلة كبيـرة ولكـن عنـدما تنحـى الأمـور نحـو التـأزم فـلا أحد يستطيع منعها.. وكـذلك لـم يعجبها لون الصالون الـذي أحضره ولا الأنتريـه فقال لـها: "أنـهما هديـة من بعض أقاربه".. فقالت لـه: "اللي يبي يجيب هدية ايجيب افلوس وأنـا اللـي انعدي نختـار بروحـي".. فقـال لـهـا: "أنـا بحاجـة إلـى كـل مـن يفـزع معـي فهـل تريـدينني أن أرد الـهدايا التـي أنـا بـأمس الحاجـة لـهـا".. ثـم عقب: "علـى كل حـال غدا عندما نتزوج سوف تغيرين كل ما لا يحلو لك".. فردت عليه بلهجة تهكمية: "هو أنـت عنـدك بـيش اتغير الأثـاث".. فأجابهـا: "إن الأرزاق علـى الله".. ثـم صـاحت بوجـهـه: "أنـت جايـب لـي الفرش بيج أنـا أكره لـون عنـدي البيج".. وتـهكمت على لـون الصـالون النبيتي قائلة بلهجة لم ترق لـه وكأن هناك جريمـة اختيـار: "نبيتـي"!!!.. وكانت على حق فاللون النبيتي لا يتناسب مع اللون المشمشي.

طلبت منه أن يذهبا سويا بمفردهما إلى الهلال الأحمر من أجل تحليل الدم للتأكد من عدم الإصابة بفيروس الإيدز وفيروس الوباء الكبدي بناء على رغبة المأذون الشرعي حيث صدر قرار بهذا الشأن.. اعترض عز الدين على خروجها معه بمفردها دون محرم بحجة أن ذلك غير جائز شرعا بالإضافة إلى احترامه لإخوتها وخوفا من أن يراهما أحدهم ولكن دون جدوى.. قالت له: "لا علاقة لك بخوتي هذا الأمر بيني وبينهم وبعدين أنت موش حا تغلط".. حاول جاهدا إقناعها بأن خروجها معه في السيارة بمفردها دون محرم لا يجوز فأجابته: "سوف لن آكلك".. قال لها باعتباري شاعر فأنا إنسان أحظى بشهرة واسعة في المجتمع وأخاف أن يراني الناس معك.. أجابته: "ليس هناك أي مشكلة قل لهم إني أختك أو قل لهم إني خطيبتك يا سيدي".

في الحقيقة رغم أنه شاعر وقد نشرت له العديد من الصحف العربية والمحلية وأذيعت قصائده عبر الراديو والفضائيات إلا أنه لا أحد يعرفه، ولكنه حاول إدعاء الشهرة للتخلص فلم يفلح وأجبرته على الخروج معها حيث اتفقا على أن يكون الأمر بعد يومين اثنين.. كان منهكا بسبب اليوم الشاق الذي قضاه في تجهيز بعض الأمور في الشقة دون أن يتناول وجبتي الغداء والعشاء.. وكل ما يرجوه هو انتهاء المكالمة حتى يتمكن من النوم فلم يعد جسمه قادرا على الصمود، غير أنه فوجئ بها تخبره برغبة جديدة كالعادة وهي أن غدا

عيد ميلادها وأنه يجب أن يأتيها في مكان عملها ليخرجا مع بعضهما إلى فندق تيبستي للاحتفال بهذه المناسبة العظيمة.

نظر المسكين إلى ملابسه المتسخة وتحسس شعره الأشعث الأغبر بسبب الاستعدادات التي يقوم بها من أجل الزفاف وتذكر الدهان والعمال الذين سيحضرون يوم الغد إلى بيت العائلة وأنه يجب أن يكون معهم لعدم وجود محرم في البيت سواه.. فشقيقه حافظ يدرس بالجامعة وأنور في بريطانيا للعلاج.. وبعد تقليبه للأمور لم يجد أي إمكانية لذلك وشرح لها الأسباب فأجابته: "لكن هذا عيد ميلادي يا عز الدين"!!!.. قالتها بنبرة تعجبية وكأنه أمر هام وخطير.. أرادت منه أن يترك العمال في بيت العائلة بمفردهم ويأتي إلى سيادتها من أجل الاحتفال بعيد ميلاد جلالتها.. سألته ألا يوجد لديك أصدقاء يكونون مع العمال؟. فأجابها أنه لا يستطيع أن يترك محارمه بمفردهن في البيت.. إن الأمر يحتاج إلى محرم فهل هنالك مكان أستطيع أن أستأجر منه محرما.

حاول الهروب قدر المستطاع وحاولت إقناعه قدر المستطاع.. كانت هناك أمور أخرى تعيق الاحتفال بهذا العيد البليد الذي لم يأت إلاّ في هذه الظروف الحرجة.. منها أنه مضطر أن يذهب في هذا الوقت المتأخر إلى بيت العائلة بمنطقة بوهديمة من أجل الاستحمام والحلاقة وارتداء ملابس أنيقة للاحتفال.. بالإضافة إلى أنه سيكون مضطرا لشراء هدية تليق بهذه المناسبة العظيمة.. والظروف المادية في هذه الفترة

بالذات قاسية.. فهو محتاج إلى كل قرش من أجل شراء بعض المستلزمات المهمة لمناسبة الزفاف.

حاول جاهدا إقناعها ولكن دون جدوى كانت تكرر عبارتها العجيبة: "لكن هضا عيد ميلادي يا عز الدين".. في الحقيقة لم تكن رغبتها هي الاحتفال بل كانت راغبة في الحصول على هدية من حبيبها وهو يمر بظروف حرجة دون أن تراعي تلك الظروف.. إن العريس أثناء الأيام الأخيرة من العزوبية يمر بأزمات مادية قاهرة تجعله غير قادر على إدارة الزمام كما ينبغي وخاصة عندما تكون العروس متطلبة.. هناك حقيقة يجهلها وهي أن الجذور التركية التي تدعيها نجلاء كانت نتيجة مصاهرة أحد أجدادها لغجر الترك وهذه المصاهرة أنتجت جينات متطلبة وهذا هو سر الرغبات التي لا تنتهي.. طلب منها تأجيل الاحتفال إلى اليوم الذي قررا الذهاب فيه إلى الهلال الأحمر فوافقت على مضض ثم أنهى معها المكالمة ورجع إلى الشقة.. وبدأ رحلة تأمل لما جلبته نجلاء وقد لفت انتباهه صالونها المشمشي الذي طالما حدثته عنه.. ففوجئ برداءة ذوقها ووجد لذلك مبررا وهو سوء ظروفها المالية.. ثم دخل الحمام حيث ستارتيها المشمشيتين تغطي إحداهما الدش والأخرى الشباك.. ونظر إلى فرش أرضية الحمام فوجدها مشمشية اللون كما وجد أحد مناشف الحمام التي أحضرتها مشمشيا.. فأحس بصداع المشمش يتسرب إلى دماغه وبعدما تمالك نفسه قليلا دخل المطبخ ليجد اللون اللعين يهيمن على كل محتوياته.. بعد ذلك

أحس بالنعاس فلم يشأ النوم بغرفة النوم حفاظا على لحاف نجلاء المشمشي الجديد (الورغان) الذي جلبه أهلها بعدما أزالوا ورغانه الأزرق ووضعوه بالخزانة.. وآثر النوم على الأرض مستغرقا في أحلام وردية.. فقد أزفت ساعة الصفر.

ما أن وضع رأسه المثقل بالأعباء على الوسادة حتى غاص في نوم عميق.. في اليوم الثاني وهو يوم عيد ميلاد حبيبته الذي آثر عدم حضوره استيقظ عز الدين باكرا وتوجه إلى بيت العائلة في انتظار الدهّان والعمال لخوض يوم جديد حافل بالعمل.. بدأ الدهّان بطلاء بعض الأماكن المتهالكة ببيت العائلة وهي الصالة والصالون وإحدى الغرف.. كان يعمل ليل نهار بدون استراحة ولم يكن مع عز الدين أحد يساعده في الإشراف على سير العمل.. وكان كلما احتاج الدهّان إلى أي مادة من المواد الخام مثل الطلاء أو الفرشاة أو الورق الخشن أو الستوك أو غير ذلك فإن عز الدين يجد نفسه مضطرا إلى أخذه معه والبحث عن هذه الأشياء بسبب عدم وجود محرم في البيت.

[25]
تصليح النقال

أراد عز الدين تصليح نقال نجلاء فاضطر لأخذ الدّهان معه وتعطيله عن العمل مكرها كما أسلفنا.. وذهبا معا إلى سوق الحديقة.. وقد تضايق الدهان كثيراً بسبب هذا المشوار لأن فيه ضياعا للوقت بالنسبة له وبالنسبة لبيت العائلة.. ولكن ما الحل؟. فصاحبة الجلالة تريد إصلاح النقال.. بدلا من أن تعينه أصبحت تختلق له حروبا جانبية.. فإصلاح نقال تافه مثل هذا كان بالإمكان أن تكلف به أحد إخوتها فالوقت ضيق ولم يعد هناك سوى أيام معدودة ولكن لا بأس سينتهي من هذا الموضوع ليتفرغ للأمور المهمة المتعلقة بالعرس.. أخبره فني النقالات أن النقال يحتاج إلى شحن برنامج يدعى "سفت وير" وأرسله إلى محل آخر مختص بهذا الشأن.. ذهب إليه مع الدهان الذي بدأت علامات التبرم على وجهه بسبب ضياع الوقت.. وجد المحل وقام بشحن ذلك البرنامج ولكن النقال لم يعمل فأخبره الفني أن "آي سي الشحن" عاطل ويحتاج إلى تجديد.. لم يكن بجيب عز الدين مالا زائدا لعلاج هذا الأمر الصغير فهناك ضرورات تحتاج لما معه من نقود فقرر العودة إلى البيت على أن يعود في وقت لاحق.

في الصباح عاد مع شقيقه حافظ الخبير الذي اشترى النقال دون أن يهتم برقم المحل.. قال له حاول أن تتذكر اسم المحل فلم يتمكن.. عرض النقال على الفني فأجابه إن "آي سي الشحن" لا يمكن إصلاحه!!!.

وقـع الخبـر علـى العريس البـائس وقـوع الصـاعقة فهـو يريـد أن يرضي صـاحبة الجلالـة ولكن الظروف الحاليـة لا تعينـه وأمامـه مناسبة تأكل الأخضر واليابس وقدرته المادية في الوقت الراهن لا تسعفه لشراء نقال جديـد.. ومـن الطريـف أنهـا تعلـم أنـه هـو شخصـيا لا يمتلـك نقـالا ورغم هذا أحرجته بهذا الطلب السخيف.. اقترح عليه الفنـي شراء جهـاز شحن خارجي مع بطارية أخرى بحيث يضع إحدى البطاريات في الشحن ويستعمل الأخرى وهي عملية مزعجة ولكن لا بأس بها بالنسبة لشخص متـورط بمناسـبة عرس.. ولـم يجـد بـدا سوى هـذا الحـل فقـام بشـراء مـا أشير عليه به على أن يشتري لها نقالا جديدا بعد الزواج لأن الظروف غير مواتية الآن.

كانت حجتهـا أنهـا تريـد أن تسمع صوته وكلهـا أيـام قلائـل وسـوف تستمع إلى صوته المزعج بـالألوان.. عـاد إلـى البيت والإرهـاق بـاد علـى وجهـه ولكنـهم لـم يـدعوه يستريح ولـو للحظـات إذ استقبلوه بقائمـة مـن الطلبـات الخاصـة بالمناسـبة فخـرج علـى الفـور لإحضـارها.. تمكـن منـه الإعيـاء إلـى الحـد الـذي جعلـه ينـام أثنـاء السير بالسيارة حتـى كـاد أن يتعرض عدة مرات لحوادث سير أليمـة بسبب النعـاس الفجـائي جرّاء التعب.

[26]
صيانة السيارة

ما أن وصل عز الدين إلى البيت حتـى فوجئ بقائمـة مـن الطلبـات كالعـادة.. ولكنـه تـذكر موعده مـع نجـلاء غدا وأنهمـا سيخرجان سـويا

بسيارته المتآكلة والمتسخة إلى حد القرف.. فاضطر إلى تأجيل كل شيء إلى وقت لاحق.. ذهب إلى محطة غسيل السيارات وطلب منهم غسلها بالكامل من الداخل والخارج وغسل الموتور ثم عاد إلى البيت.. كانت هناك بعض المهام داخل البيت حاول جاهدا الانتهاء منها بنفسه مثل إصلاح بعض مواسير الحمام وبعض الترميمات وغير ذلك.. لم يكن رجلا عمليا ولكنه حاول قدر المستطاع إصلاح ما يمكن إصلاحه بيده لتوفير المال.

بعد وجبة الغداء وشرب الشاي أحس بقليل من الانتعاش فغادر البيت إلى محطة الغسيل حيث استلم سيارته وقد تعرضت لعملية تنظيف شنيعة أزيل على إثرها الغبار الذي لم يفارقها منذ زمن.. وكان ذلك بفضل نجلاء فهو يستحي أن تركب خطيبته في سيارة متسخة.. بعد خروجه من محطة الغسيل قرر الذهاب إلى سوق الخردة الخاص بالسيارات والمعروف باسم "الرابش" بمنطقة بودزيرة لتثبيت الكرسي الذي يوجد بجانب السائق حيث ستجلس عليه ست الحسن غدا.

سوق الرابش كما يعرف في بنغازي.. هو مكان مخصص لبيع قطع السيارات المستعملة وهو عبارة عن شوارع ضيقة تتسع لسيارتين فقط وعلى جانبيه توجد قطع من الأراضي تم تسييجها بسيارات الخردة وأغلب الباعة من الليبيين والأشقاء السودانيين.. وأما عن قطع الغيار فإنهم يتحصّلون عليها عن طريق السيارات المدمرة خلال حوادث السير.. وأغلب السيارات الموجودة لديهم فقد أصحابها أرواحهم أثناء

قيادتها وقد قام الورشة بإحضارها على أمل أن تتلاشى ذكرى فقيدهم.. كما أن هناك وسيلة أخرى لجلب قطع الغيار وهي عن طريق اللصوص الصغار الذين استفادوا من الفوضى وغياب الأمن والقانون فأصبحت السرقة مهنة شبه مرخصة.. وهؤلاء يزاولون أعمالهم في الليل وليس كما يفعل اللصوص الكبار الذين يزاولون أعمالهم علانية في وضح النهار.. ولدى هؤلاء اللصوص البائسين أماكن لتفكيك السيارات إلى أجزاء وبيعها على دفعات.

ما أن وصل عز الدين إلى سوق الخردة بسيارته المتآكلة نوع (ساني) حتى استقبلوه بالترحيب ظنا منهم أنه يريد بيعها.. قال له أحدهم: "أنا مستعد أن أدفع لك فيها 120 دينارا كاش".. أجابهم أنها ليست للبيع ثم انطلق مسرعا داخل السوق وأخذ يسأل عن البرغي الخاص بالكرسي حتى وجده.. حاول الميكانيكي تثبيت الكرسي ولكنه لم يفلح بسبب تسرب المياه إلى مكان البرغي مما ألحق به الصدأ.. فقام بشراء البرغي منه والذهاب إلى الخراط المقابل لسوق الخردة لتثبيته.. كان الخراط مشغولا بسيارة أخرى فأعطى لعز الدين المفك وطلب منه فك البراغي التي تمسك بالكرسي لمعالجة المشكلة.. حاول عز الدين جاهدا ولكنه لم يستطع بسبب الوهن الذي أصابه نتيجة الجهد المبذول من أجل أعمال الصيانة الشاقة.. فقام الخراط بفعل ذلك بنفسه وانتهى من إصلاح مجرى البرغي وتثبيت الكرسي الذي ستجلس عليه نجلاء يوم غد.. عاد عز الدين إلى البيت مرهقا فتلقوه بقائمة الطلبات التي تهرب

منها من أجل البرامج التي اختلقتها له العروس فخرج مسرعا لإحضارها وهو يكاد يسقط على وجهه من شدة الإعياء.

[27]

تحليل الدم

في اليوم التالي حيث موعده مع حبيبة القلب استيقظ عز الدين باكرا وقام بحلاقة ذقنه وارتداء أجمل هندام لديه والخروج إلى مكان عمل نجلاء.. وما أن وصل حتى استقبله ضابط الأمن الموجود بالباب كالعادة بوجه عبوس قمطرير.. سأله من تريد؟ فأجابه أريد نجلاء.. كانت نظراته تنم عن الاحتقار لعز الدين فقد تملكه شعور بأنه صار أشبه بالقواد لهذين العاشقين.

أن يدخل إلى الموظفة نجلاء ويخبرها أن هناك رجلا يريدها يعتبر أمرا مخزيا بالنسبة له فهو في نظره كل الموظفات عاهرات وكل من يسأل عنهن زناة وهي نظرة خاطئة فعز الدين شاب مهذب طلبت منه خطيبته الحضور إليها في مقر عملها فاستجاب لها مكرها.. سأله ما قرابتك بها؟ فأجابه إنها خطيبتي.. أحس عز الدين بالحرج جرّاء النطق بهذه الكلمة.. فمكان العمل لم يخصص لالتقاء العشاق وكان من اللائق أن يذهب إليها في بيتها لا في مكان عملها.. عاد ضابط الأمن متبرما ونظر إلى عز الدين بازدراء وأخبره أنها مشغولة ولا وقت لديها وأن هناك جبلا من الملفات فوق مكتبها.. أجابه عز الدين أنا على موعد مسبق معها فقط أنت أخبرها بوجودي هنا.

دخل ضابط الأمن على مضض ليخبر صاحبة الجلالة عن وجود شخص يدعى عز الدين يود مقابلتها.. وما هي إلا لحظات حتى خرجت إليه مبتسمة وصافحته قائلة هيا بنا.. خرجا سويا وركبا سيارته المتهرئة بمفردهما دون وجود محرم.. كان خائفا فقد أحس أنه ارتكب جريمة فهذه أول مرة تركب سيارته فتاة لا يوجد رابط شرعي يجمع بينهما فهي مجرد خطبة فقط ولم يعقد القران عليها بعد لتصبح زوجته.. أما هي فقد كانت جالسة بلا خجل ولا حياء.. كان خائفا أن يصادفه أحد إخوتها فتحدث الكارثة بينما هي لم تكن تضع حسابا لأحد.. قال لها: "هذه أول مرة نخرج فيها مع بعضنا" فأجابته بعتاب: "وشن اندير لك أنت اللي ما تبيش".. دخلا إلى شارع جمال عبد الناصر وكان مكتظا بالسيارات ومزدحما بالمارة، وسارا إلى شارع الجزائر خلف المعرض الصناعي حتى وصلا إلى الهلال الأحمر.. نزلا سويا من السيارة وترجلا للداخل حيث تحليل الدم.. دخلا غرفة التحليل وكانت خالية فجلسا بمفردهما وتبادلا بعض الأحاديث ثم أخرج لها نموذجا من بطاقة الدعوة تجمع اسمي عائلتيهما مع بعض وأخبرها أنه قد قام بطباعة البطاقات.. فأمسكت النموذج ثم تبرمت قليلا وقالت له: "زعلتني منك يا عز الدين ليش ما قلت لي من الأول".. حاول أن يبرر لها تصرفه دون فائدة.. قالت له: "أنت قلت أنك كتبت الصيغة ولم تقل لي أنك قمت بطباعتها يا ليتك قلت لي من الأول أنك قمت بطباعتها".. تأملت بطاقة الدعوة فلم تعجبها الصيغة لأنها خالية من الأشعار

الفصيحة والشعبية والآيات القرآنية والأمثال والحكم الشعبية وغير ذلك، ولأنها تجمع اسميهما مع بعض.. لم ينس عيد ميلادها الذي مر عليه يومان فحاول أن يحتال عليها في الهدية بسبب الإفلاس فقدم لها مفتاح الشقة قائلا: "بمناسبة عيد ميلادك فإني أهديك شقة كاملة".. أخذت المفتاح وتبسّمت من الفرح ثم قالت: "سوف آتي لأرى الشقة يوم الغد".. أجابها بتعجب: "هل من المعقول أن تزور العروس شقتها قبل العرس بأيام"؟.. أجابته بدلال: "إن لدي ملابس أرغب في جلبها وترتيبها بنفسي".. فقال لها: "إن الشقة غير منظمة ومن المحرج أن تريها بهذا الوضع".. ابتسمت له ثم قالت واللهفة في عينيها: "انضمها لك".. وطلبت منه عدم وجوده بالشقة أثناء زيارتها.

بعد قليل جاءت الممرضة وقامت بوخز ذراع نجلاء فلاحظ عز الدين صلابتها أثناء أخذ العينة من دمها.. فقد مدت يدها بكل جرأة وقامت الممرضة المختصة بوخزها بكل عنف.. كان هو قد سبقها منذ يومين بالتحليل وها هو يشاهدها تتلقى نفس الوخزة.. لقد تألم نيابة عنها فهو يحبها إلى حد الجنون ولو أن رمحا غاص في أحشائه لكان أهون عليه من تلك الإبرة الظالمة التي دخلت إلى شرايين حبيبته.. وكان سبق له أن قدم الورقة الخاصة بذلك حيث ألصق عليها صورتها التي كان يحتفظ بها داخل محفظته.

[28]
المزين

بعد الانتهاء من أخذ العينة طلبت منه الذهاب إلى فندق تيبستي فقال لها: "إني أفضل الذهاب إلى المنتزه".. فلم تمانع ولكن على مضض لعلمها المسبق أنه لا يفتح في الصباح ولم تخبره.. وهو لا يعلم ذلك وكأن القدر يريد أن يضع لهما الأشواك عنوة.

صعدا السيارة معا واتجها سويا نحو منطقة الرويسات ثم انطلقا إلى منطقة الفويهات حيث يوجد المنتزه الذي تسكنه بعض الحيوانات البائسة التي كاد أن يتساوى حالها مع حال البشر خارجه.. وجد عز الدين الأبواب مغلقة ولم يعرف السبب فاقترح عليها أن يذهبا لفندق أوزو فهناك مقهى وراء الفندق سبق له أن شاهد به أحد أصدقائه مع خطيبته منذ عشر سنوات فرحبت بالعرض.. كان المكان خاليا ولا يجوز لفتاة أن تمضي إليه بصحبة خطيبها بدون علم أهلها.. هذه هي ثقافته التي أصبحت متخلفة في زمن طغت عليه المسلسلات المكسيكية.. وما أن بلغا الفندق حتى وجدا المقهى مغلقاً.. يبدو أنه لا يفتح إلا في الليل.. ولم يخطر ببال عاشقنا الأبله أن هناك مقهى داخل الفندق.. لقد كان أميّا من هذه الناحية ساذجا إلى حد الحمق.. هل من المعقول أنه لا يعرف أن هناك مقهى داخل فندق أوزو؟!.

في تلك الأثناء كانت نجلاء تتبرم من الداخل وتكاد أن تتميز من الغيظ وهي تتساءل داخل نفسها ما هذا الخطيب الجاهل الذي لا يعرف شيئا في الحياة؟.

اقترح عليها أن يذهبا لعمارة الدعوة الإسلامية فعلى الأقل هو اسم إسلامي.. أثناء الطريق طلب منها يوم العرس أن تنتهي من المزين باكرا بحيث تستطيع سيارات الزفة أخذها من بيت أهلها مبكرا فأجابته على الفور: "عز الدين لقد تصرفت في فلوس المزين بالخطأ وإخوتي ظروفهم صعبة فاستحييت أن أطلب منهم فأرجو أن تحضر لي مع كروت العرس 150 دينارا وسآخذ من ماما 50 دينارا أخرى حتى أستوفي ثمن الحجز في المزين وهو 200 دينار".

لم يكن الوقت مناسبا للطلبات فقد أعطاها كل ما يلزمها وحتى إذا حدث خطأ مثل هذا فتمنى أن يكون هناك نوع من الخجل في الوقت الراهن بالنسبة للطلبات.. وعلى كل حال كلها أيام قلائل وينتهي هذا الإحراج.. ثم أن عليه كثيرا من الالتزامات وما معه من نقود بالكاد يكفي لذلك.

مرا في طريقهما على فندق تيبستي فنظرت إليه بتمعنٍّ وهي في غاية الحنق ثم زفرت متبرمة بسبب رفض عز الدين الجلوس فيه معها.. وسبب تعلقها بمقاهي الفنادق الفخمة كونها جديدة على المدينة.. فقد عاشت حياتها في ضواحي بنغازي وأصبحت ترى الحضارة من خلال ارتياد الفنادق الفخمة وتناول الأكلات بمطاعمها وشرب القهوة داخل مقاهيها.. بينما عز الدين ولد وترعرع في بنغازي وشاهد فندق نجلاء الأثير وهو لا يزال قواعد وتتبع مراحل بنائه طابقا طابقا عندما كان طالبا بمدرسة شهداء يناير التي تجاوره.

كان عز الدين طوال الطريق غاضّاً بصره عنها وهي تحدثه برفق بينما هو ينظر إلى الأمام حتى توقفت السيارة عند مفترق طرق شركة الكهرباء بانتظار الإشارة الخضراء للعبور.. وبينما كان ينتظر الإشارة الضوئية، أخبرته أن هناك شابا تقدم لخطبتها منذ أيام.. ذكرت له الاسم فنسيه ولم يتذكر سوى أنه من عائلة شهيرة في ليبيا.. ثم استطردت: "لقد خطبني عن طريق إحدى صديقاتي فقلت لها ألم أقل لك أنني مخطوبة، وأن عرسي بعد أيام قلائل؟ فأجابتني أنها تحسب أنها مجرد كلمة عابرة لأنها لم تشاهد الدبلة في يدي".. ثم عقبت: "هناك بعض العائلات عندما يأتيهم شخص آخر لخطبة ابنتهم المخطوبة فإنهم يقبلون به إن كان أفضل من الخطيب السابق غير أننا لا نفعل ذلك".. ابتسم عز الدين لثقته المفرطة بحبيبته التي اعتقد أن الله كافأه بها لطيبته.. ثم أضاءت الإشارة الخضراء فانطلق بسيارته مسرعا نحو مبنى الدعوة الإسلامية غير آبهٍ بذلك الخطيب المنافس.. وما أن وصل الباب بصحبتها حتى استقبلتهما فتاة اعتقدت أنهما زوجان فقدمت لهما عرضا للاشتراك في مسابقة لإحدى الشركات يوم الغد وقد سألت نجلاء عن قرابتها بعز الدين فأجابتها: إنه أخي واعتذر عز الدين للفتاة بكذبة بيضاء حيث قال لها: إنه سوف لن يكون موجودا في بنغازي يوم الغد.. ثم دخل مع نجلاء إلى مبنى الدعوة الإسلامية الذي كان مكتظاً بالبشر بسبب الازدحام على شراء الشفرة الخاصة بالنقالات من مكتب شركة ليبيانا.. كان مرتبكا وخائفا أن يجد أحد إخوتها في المبنى.. وبعد أن

تمالك شجاعته دخل معها إلى المقهى فوجداه يعج بالمرتادين فخرجت مسرعة وتبعها عز الدين.. طلبت منه العودة إلى مقر عملها فقد تأخرت.. ولم يكن يعلم بسبب ضعف ثقافته الفندقية أنه يوجد بالمبنى قسم خاص بالعائلات.. وكانت نجلاء على دراية بوجود هذا القسم ولكنها اعتقدت أنها وسيلة يستخدمها عز الدين للتملص من الخروج معها بسبب تخلفه وعدم تداركه لأصول المدنية.. صعدا السيارة وأعاد إليها النقال مع الجهاز الخاص بالشحن الخارجي وبطارية إضافية.. مثلما اقترح عليه الفني بسبب تعذر إصلاحه وعاهدها بشراء نقال جديد بعد العرس مباشرة.. أخذت النقال على مضض وتركت الصندوق الخاص به في السيارة وأكدت عليه ضرورة إحضار بطاقات الدعوة لتوزيعها في عرس شقيقها على المدعوين وطلبت منه إحضار المبلغ الذي طلبته من أجل المزين وهو 150 دينارا.. وعلى الرغم من أنه قد سبق له أن قدم لها ما تحتاج إليه من نقود بما فيها تكلفة المزين.. إلا أنه وجد نفسه مضطرا إلى تدبير هذا المبلغ الإضافي رغم تفاهته لأن هذه الفترة بالنسبة للعريس المفلس تعتبر من أصعب الفترات.. حتى أن ورقة العشرة دنانير يمكنها أن تفعل الأفاعيل.

[29]
بطاقات الدعوة

عاد عز الدين إلى البيت فقدموا له قائمة من الطلبات ولم يسمحوا له بالراحة حتى للحظات.. كي يستريح من الإعياء الشديد.. فانطلق كالسهم نحو سوق الجريد من أجل إحضار المدون بالقائمة اللعينة..

وصل إلى سوق الجريد.. وهو أشهر الأسواق الشعبية في مدينة بنغازي.. يغلب عليه الازدحام دائما وتتوفر فيه جميع أنواع البضائع.. سوق مليء بالباعة غير المحليين الذين يفترشون ببضائعهم الأرض أمام المحلات التجارية بمقابل مادي باهظ وهو 10 دنانير يوميا لأصحاب المحلات لأجل حمايتهم من مداهمات رجال الحرس البلدي الذين جل همهم مصادرة بضائع الباعة المتجولين وتوزيع ثمنها فيما بينهم.. وهو نوع من قطع الطرق المرّخص.. ويتوسط السوق ممر ضيق جدا لمرور مياه المجاري بسبب انسداد البالوعات وكثيرا ما يضطر العابرون إلى القفز لتجنب ذلك المجرى النتن بسبب الازدحام.. أما عن الشحاذين فحدث ولا حرج وأغلبهم وافدون تعلموا اللهجة الليبية فلم يتقنوها وهؤلاء لا علاقة للحرس البلدي بهم.

كان على عز الدين أن يجد ضالته وسط هذا السوق بأسرع وقت.. حيث اشترى اللوازم وعاد مسرعا إلى البيت من نفس الدرب.. محملا بالحاجيات المطلوبة وفي نيته تدبير المبلغ الذي طلبته نجلاء لأجل المزين.. لقد ضاقت بعز الدين السبل فقرر أن يفاتح مديره في العمل بالأمر ويطلب منه المبلغ على أن يخصمه من حسابه في الشهر القادم وهو ثلاثة أرباع راتبه بعد أن أخذت نصف راتب الشهر الحالي من أجل شراء النقال.

كان منهكا ماديا وحبيبة القلب أعيته بهذا الطلب الذي يتمنى أن يكون الأخير قبل الزواج فلم يعد هناك وقت كاف.. الأمر لم يعجب

مديره ولكنه لم يشأ أن يخذله وأعطاه المبلغ بتعجب فهذه أول مرة يسمع فيها عن عروس تتسول من عريسها الأموال قبل الزفاف ولكن لكل امرئ مبرراته.. طلب من مديره أن يكون الأمر سراً بينهما فهو محرج أن يعرف أي شخص أن حبيبته كانت تطلب منه النقود قبل الزواج.

في اليوم التالي ذهب إلى المطبعة وطلب منهم طباعة بطاقات الدعوة وقد قام أحد أبناء عمومته بإهدائه عدد 500 بطاقة بيضاء خالية من الكتابة بمناسبة العرس.. وتمكّن من استلام البطاقات مطبوعة وجاهزة بالصيغة التي حددها والتي قبلتها نجلاء على مضض وكانت آخر عباراتها: "بيش اتجيب الكروت اليوم نبي 200 كرت ولا تنس الـ 150 جنيه".. لقد كانت تريد 150 كرتا وهو يلح عليها أن تأخذ 200 كرت فتأبى والآن تريد أن تضع على كاهل بعيره أي قشة تستطيع حملها من أجل قصم ظهره.. رغباتها أوامر وعليه أن يتدبر أمره.. في المساء تمكّن من الانتهاء من طباعة بطاقات الدعوة فتوجه نحو بيت نجلاء تاركا وراء ظهره كل المشاغل التي أنيطت به.. حيث أخذ معه عدد 200 بطاقة دعوة وكانت الأفضل واحتفظ بعدد 300 بطاقة كما وضع المبلغ الذي طلبته منه حبيبته في مظروف خاص وما أن وصل إلى بيتها حتى وجد عقود الزينة تحفّ بكل أرجاء البيت والأضواء متلألئة وذلك بمناسبة عرس أخيها رفعت الذي تقرر قبل عرسهما بتسعة أيام.. كان الوقت متأخرا ولكن لا يهم فأصهاره لديهم مناسبة

ودون شك أنهم لا يزالون يقظين.. طرق الباب ففتح لـه والـدها وكانـت هذه أول مرة يلتقيان فيها.. كان رجلا بسيطا جدا في الثمانين من العمر لا حـول ولا قـوة لـه.. لاحظ عز الـدين أن والـدها بكامـل قـواه الصـحية وتعجب من كونهم يقررون نيابة عنه فقد كان يعتقد أنه منته صحيا حسب المعلومات المغلوطة التي زوده بها عديله مجدي.. وقد صافحه والدها بلا اهتمام وحتى عندما أخبره عن اسمه لم يتعرف عليه.. سأله عن ابنه رفعت فأجابه أنه موجود وأخذ ينادي عليه ثم خرج والدها من البيت وجلس على عتبة بيت الجيران وكله طيبة مفرطة جدا جدا.. وهنا تعجب عز الدين من فرط الطيبة والبساطة التـي تجمـع بين والدة نجلاء ووالدها فكلاهما طيب وبسيط إلى أقصى حد ولم يكن يعلم أنه مسلوب الإرادة.

بعد برهة من الوقت خرج شقيقها رفعت فتصافحا وبارك لـه بمناسبة زفافه القريب.. سلمه بطاقات الدعوة والمبلغ الذي طلبته نجلاء ثـم أراد المغادرة فطلب منـه شقيقها حضور عقد قرانـه فاعتذر بسبب المشاغل الملقاة على عاتقه.. اعتذر لأنـه هـو أيضا يستعد لحفل الزفاف.. كان شقيقها رفعت منهكا جدا هو الآخر بسبب الإعياء الشديد والتعب اللذين ألمّا به جرّاء حفل زفافه.

[30]
سوق الفندق البلدي

عندما رجع عز الدين إلى البيت وجد أهله قد وزعوا عددا لا بأس به من بطاقات الدعوة.. كانوا فرحين جدا بهذه المناسبة.. وفي اليوم

التـالي اسـتيقظ عـز الـدين بـاكرا وتوجـه نحـو الفنـدق البلـدي لشـراء الخضروات المطلوبة.. وما أن وصل حتـى أخذ يبحث عن مكان شاغر ليوقف فيـه السيارة.. تلقاه الأطفال الصغار الموجودون أمـام الفنـدق.. حيث يقومون بإيقاف البراويط أمام الأمـاكن الخاليـة لحجزها وتأجيرها: "هل تريد مكان فاضي يا حاج"؟؟؟.. لم يعرهم اهتماما فهو يبغض هذه الكلمة حتى سأله أحد الأطفال في موقف آخر: "هل تريد مكان فاضي يا شاب"؟؟؟.. وهنا فرح بالكلمة وقال لـه: "على الرحب والسعة نعم أريـد".. قام بإيقاف السيارة ودخل الفندق وبدأ يتجول بين أزقتـه.. المكان مكتظ بالناس وعدد البراويط أكثر من عدد المتسوقين وذلك بسبب البطالـة.. طلـب مـن أحـد الشـباب مصـاحبته ببرويطتـه وبـدأ فـي عمليـة الشـراء الرهيبـة.. المكـان مـزدحم والخضـروات مبعثـرة علـى الأرض والباعـة مـن جنسيات مختلفة وهم أشبه بـالخليط الآدمـي.. يتسللون إلـى الـبلاد دون فحص طبـي.. وآثـار الأوبئـة باديـة علـى ملامحهم.. رأى المشمش مـن بعيد فأصيب بصداعه الرهيب ثم تمالك نفسه وانتهـى من عمليـة الشراء وعاد إلى البيت سالما.. ففي هذا السوق كثيرا مـا تحدث مشاجرات بين الباعـة أو الزبـائن وهـي غالبـا مـا تتطـور لتخـرج السيوف مـن أغمادهـا وتنشب بالخناجر مذابح لا ينجو منها إلا طويل العمر.. وصل عز الـدين إلى البيت وبعد أن أنـزل الخضـروات تلقتـه النسوة بالزغاريد حمـدا علـى عودته سالما.

[31]
سوق المواشي

لم يلبث عز الدين في البيت طويلا فقد انطلق مسرعا كالرصاصة نحو سوق المواشي لشراء الخراف.. وصل للسوق وكان منهكا جدا.. بالكاد يستطيع الوقوف على قدميه.. وقام بشراء عشرة خراف واستأجر سيارة لنقلها إلى أحد الجزارين الذين يتعامل معهم وطلب منه ذبحها وتقطيعها إلى أجزاء كبيرة وتخزينها في الثلاجة لديه حتى يخصص لها مكانا.

بعد ذلك توجه عز الدين نحو محل تأجير الكراسي وعقود الزينة حيث استأجر عدة كراسٍ وبعض العقود وقام الفنيون بالمحل بتركيب تلك العقود فأصدرت المصابيح ألوانا مختلفة وجذابة تبين للمارة أن هناك عرسا في هذا البيت.. وتم توزيع بطاقات الدعوة على الأقارب والأصدقاء والجيران كما تم الاتصال بالأحباب في كل المدن الليبية لدعوتهم لحضور العرس عن طريق الهواتف الأرضية والنقالات وعن طريق الإنترنت والبريد والحمام الزاجل.. الكل صار يعلم أن عرس عز الدين بعد أيام قلائل والكل كان ينتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر.. فقد عبث الزمن به وهاهو يأذن له بالفرح للمرة الأولى في حياته.

لقد جاوز عز الدين الثانية والأربعين وجاوزت نجلاء الثلاثين من العمر وآن لهما أن يجتمعا تحت سقف واحد يحفه الحب.. في المساء اتصل بها فسألته عن نتيجة الفحص الطبي الذي أجرته بالهلال الأحمر بالنسبة لمرض الإيدز والوباء الكبدي فأجابها: "قد استلمت نتيجة

التحليل وصحتك سليمة وحتى إن كنت مصابة بالإيدز فسوف أتزوجك".. ضحكت وطلبت منه حضور عقد قران أخيها فاعتذر لأن وجوده كعريس لها يحرجه أمام المدعوين.

[32]
الوليمة

بدأ أهل عز الدين في إعداد مستلزمات الوليمة مثل تجهيز الفلفل الحار "المصيّر" وكذلك المخلل وتقشير اللوز وغير ذلك من احتياجات وجبة العشاء الخاصة بالمدعوين.. كانت الكميات كبيرة وخوفا على هذه الأشياء من التعفن فقد كانوا يقومون بتخزينها في ثلاجات الجيران.. حيث لم يتركوا ثلاجة من ثلاجات الجيران القريبة إلا ووضعوا فيها بعض المواد الخاصة بالمناسبة.. وحتى الأقارب والأصدقاء رغم بعد بيوتهم لم تسلم ثلاجاتهم من تخزين مواد العرس.. امتلأ البيت بالأقارب وأخذت الزغاريد تصدح عبر مكان احتضن عز الدين وآن الأوان لأن يودعه.. لم تأل النساء جهدا، فبعضهن يقمن بتنظيف البيت والبعض بتنقية الأرز حيث تقرر أن تكون وجبة العشاء أرزاً بالتقلية ولحسن الحظ أنه رغم تدخلات العروس الشنيعة بأمور العرس الخاصة بعائلة عز الدين إلا أنها لم تتدخل بوجبة العشاء فهي لم تطلب الكسكسي أو المعكرونة أو حساء المشمش أو أي شيء من هذا القبيل وهذا يعتبر كرما منها.. وقد تم الاتفاق مع طباخة خاصة بالمناسبات ودفع العربون لها.

[33]
توزيع الكروت

تمت عملية توزيع الكروت بسلام.. وقد قام عز الدين بنفسه بتوزيع العديد منها.. بذل قصارى جهده في ذلك.. حيث كان يقوم كلما قذفته الطريق بمنطقة ما من مناطق المدينة بتوزيع بطاقات الدعوة على الأحباب والأصدقاء الذين يقطنون بها.. ورغم التعب الشديد إلا أنه كان سعيدا لدرجة يكاد أن يطير معها من الفرح.. إن نجلاء بالنسبة له هي كل شيء في حياته.. فلو خيروه بينها وبين كنوز الأرض لاختارها هي.. إن الحب الذي تمكنت تلك الفتاة من زرعه في قلبه حب غريب وعجيب.. هي لم تغادر قلبه لحظة واحدة.. لا ينام إلا بجوار صورها.. ولا تغمره السعادة إلا عندما يستمع إلى صوتها.. الدنيا بدونها لا تعني له شيئا.. لقد اخترقته بغنجها ودلالها وأسلوبها اللبق في الحديث.. كلماتها الرقيقة جعلته أشبه بالخاتم في إصبعها.. وأصبح همه في الحياة هو إرضاؤها.

في اليوم التالي قام عز الدين بإحضار سيارة حجارة صغيرة "مرش" وقام بردم الحفر التي تغمر الشارع وأحضر قماشا غليظا (مشمّع) وغطى به مقدمة البيت وآخر لتغطية مؤخرة البيت.. الزغاريد لا تزال تدوي في الأرجاء فكل الأحباب فرحون بالمناسبة فهو لم يعد صغيرا وقد تزوج كل من في البيت – سواه وحافظ – وأصبح لديهم أولاد وبنات وهؤلاء الصغار كانوا أكثر فرحا بزواج عمهم وخالهم من الكبار.

[34]
عقد القران

في هذه الأثناء وصل من بريطانيا أحد أصدقاء شقيقه أنور وأخبرهم عن وضع أنور الصحي فقرروا ضرورة سفر أحد أفراد العائلة إلى بريطانيا لمرافقة ابنهم الذي يرضخ للعلاج هناك.. كانت الظروف قاسية ونجلاء سامحها الله لم تسمح له بتأجيل العرس حتى عودة شقيقه من العلاج.. كانت تقول لعز الدين: إنني مستعجلة.. وكانت تلح عليه كلما هاتفها: "عدي احجز في الصالة يا عز الدين أنا مستعجلة يا عز الدين".. ثم تعقب: "أنا مستعجلة موش علشاني أنا مستعجلة علشانك واجعني حالك مافيش من يطيب لك ويغسل لك ادبشك".

في تلك الأثناء بينما كانت العائلة تمر بظروف قاهرة بين عرس عز الدين وعلاج أنور قرر عمّ عز الدين الحاج فايز السفر نيابة عن العائلة إلى بريطانيا للاطمئنان على ابن أخيه الموجود هناك للعلاج.

قرار السفر المفاجئ للعم فايز ومن ثم غيابه وغياب شقيقه أنور أثّرا على نفسية عز الدين كثيرا.. نظر إلى عمه ثم تنهد بقوة وحزن قائلا: "كم يحزّ في نفسي غياب أخي أنور عن العرس ثم غيابك أنت الآخر".. مرت كلماته إلى أذن عمه مرور الصاعقة فغياب شخصين من العائلة عن هذه المناسبة يعتبر أمرا مؤثرا.. وسامح الله نجلاء التي ألحت عليه بالاستعجال بالعرس دون أن تترك ذلك في يد العريس.. ولم تكن لعز الدين وسيلة للهروب من الإلحاح آنذاك سوى أن يتغزل فيها بقوله إني أحبك ومتعلق بك كثيرا وهلمّ جرّا من كلمات الحب من أجل

تغيير الموضوع.. صارح عمه أنه حزين لعدم حضوره وحضور أخيه أنور.. فاقترح عليه عمه بأن يستعجل بعقد القران "الفاتحة" حتى يتمكن من حضورها قبل السفر المفاجئ.

اتصل عز الدين بشقيق نجلاء هاتفيا فردت أختها الصغرى جمانة فسألها عن أخيها عدنان فأجابته أنه غير موجود ثم عقبت ولكن نجلاء موجودة فأجابها بأنه يريد عدنان شخصيا.. ذهب إلى عدنان في مكان عمله بالمطافئ حيث كان مداوما هناك لإخماد الحريق.. استقبله عدنان استقبال الفاتحين وكان مسرورا بزيارته سرورا كبيرا وعرفه على موظف الاستعلامات قائلا: "هذا هو صهري عز الدين خطيب شقيقتي وهو العريس المرتقب".. ثم انزويا معا قرب إحدى سيارات الإطفاء التي أكل الدهر عليها وشرب.. فأخذ يتأمل سيارات الإطفاء الصالحة ولم يكن يعلم أنها خالية من المياه.. ثم أخبر عدنان عن موضوع سفر عمه المفاجئ إلى بريطانيا ورغبته في الاستعجال بعقد القران قبل سفره.

لم يمانع عدنان واتصل بأهله وفاتحهم بالأمر غير أنهم اعترضوا بسبب حفل زفاف ابنهم رفعت وطالبوا بأن يكون عقد القران في موعده السابق وهو قبل العرس بيوم واحد.. عاد عز الدين إلى البيت ليخبر أهله أنهم أخبروه أن الظروف لا تساعد في الوقت الراهن.

تألم العم فايز قليلا لعدم تمكنه من حضور عقد القران واستأذنهم للاستعداد للسفر بعدما عانق عز الدين عناقا حارا وقدم له التهاني مقدماً.. بمناسبة حفل الزفاف.

تأمل عز الدين المصابيح الملونة وهي تشع عبر البيت ثم غادره إلى شقته والأغاني مع الزغاريد تملأ أرجاءه وكله حب وأمل.. متمنيا عودة شقيقه سالما.. وفي الطريق غفا مرتين بسبب التعب والإعياء اللذين أنهكاه من أجل المناسبة.. ثم وصل بشق الأنفس إلى الشقة وأراد إخراج فراش للنوم من المخزن المكتظ بالصناديق والأكياس التي أحضرت فيها عروسه حاجياتها وأصرت على عدم رميها.. ما أن دخل إلى المخزن حتى فوجئ بصرصار صغير الحجم أمريكي الجنسية يسير قرب الصناديق فاكتشف من خلاله أن حجرة حبيبته تعج بالصراصير.. فقد أخبرته منذ مدة أن مشترياتها قد ملأت الغرفة وأنها ترغب في نقل حاجياتها إلى الشقة.. وعلى الفور قام عز الدين بسحق الصرصور المسكين دون أن يُقدّر أنه هدية عروسه خوفا من أن تنتشر الصراصير في الشقة التي بذل قصارى جهده في تجهيزها.. ثم نظر إلى الصناديق التي تعج بالصراصير وتبسم مستغربا.

كانت ابتسامة تهكمية ألهمته بها الصراصير البائسة التي قرر إبادتها عن بكرة أبيها رغم كونها هدية من حبيبة قلبه.. ثم أخلد للنوم عازما على الذهاب يوم الغد إلى إحدى الشركات الخاصة بالمبيدات الحشرية من أجل رش الشقة قبل أن يستفحل أمر الصراصير ويصبح التخلص منها مستحيلا.

في الصباح استيقظ باكرا فهناك الكثير من الأمور التي يجب أن يقوم بها وأثناء الخروج تذكر أن العروس ترغب في رؤية الشقة بعد

حصولها على مفتاحها.. فضحك لهذه الجرأة الغريبة من حبيبته وحاول جاهدا ترتيب ما يمكن ترتيبه ثم قام بنشر رائحة البخور بها احتفاء بأغرب زيارة سمع بها في حياته وخرج تاركا لها الجمل بما حمل لتفعل بها ما تشاء فهي صاحبتها الجديدة وكل أمله أن تعجبها.

في المساء اتصل بها وسألها هل زرت الشقة؟ فأجابته بأنها كانت تنتظر منه مكالمة من أجل ذلك فأجابها: ألم نتفق على ذلك؟ وانتهى الأمر.. ثم عقّب لقد قمت بتبخيرها لك فردت عليه: "أنا لا أحب البخور ولكنني أحب ملطف الجو".

ودعها على أمل اللقاء بها مجددا وفي اليوم التالي توجه إلى بيت العائلة بمنطقة بوهديمة وما أن وصل إليه حتى وجده مكتظا بالضيوف فسلك طريقه إلى المطبخ لتناول وجبة الفطور ثم استلم قائمة من الطلبات لإحضارها من السوق كالعادة.. وبعد عودته أخبرته شقيقته أن نجلاء اتصلت به وطلبت منها إبلاغه أن يتصل بها فور قدومه إلى البيت.. فذهب إلى مكان عمله ليتصل بها من هناك فوجد الهاتف عاطلا وبجواره فاتورة تجاوزت الألف دينار بسبب اتصالاته الطويلة مع حبيبة القلب.. لم يهتم عز الدين بموضوع الاتصال بها من هاتف آخر فقد كان مشغولا جدا.

بالإضافة إلى أن الاتصال بحبيبة القلب أثناء فترة العرس أصبح متعبا جدا فهي غزيرة الرغبات وظروفه لا تعينه لتلبية أي رغبة ساذجة لأن المعركة الحقيقية بدأت بالفعل وما معه من المال لا يكفي لخوض

حـروب جانبيــة.. فقـد خـاف أن تضــع لــه فــي الأرز عظامــا كالعــادة وأعصابه لم تعد تحتمل.

أخذ عز الدين يردد داخل نفسه دون أن يسمعه أحد بأن هذه الفتاة طلباتها لا تنقطع منذ خطبتها وهي لا تكف عن الطلبات وكلما اتصلت بها فاجأتني بطلب جديد.. من المفترض أن تكون الفتاة خجولة أثناء فترة الخطبة آخذة ما يقدم إليها بصمت.. حتى يتم الزواج ثم تنقض برغباتها على الزوج المسكين وليس الآن.. وعندها يمكنها أن تصبح عروسا وحماة في آن واحد.

مضى يوم شاق على عز الدين كان فيه أشبه بالثور في حلبة المصارعة.. عليه أن يقتل المصارع فيقتلونه ثأرا للمصارع المهزوم.. أو يترك المصارع يقتله حتى لا يلاحقه طلب الثأر.. كره الزواج وردد داخل نفسه كم تمنيت أن تقف حبيبتي بجانبي كمعينة ولو بالكلمة الطيبة ولا تكون شوكة في ظهري!!. كم تمنيت أن تذلل لي العقبات بدل أن تقذفها في طريقي!!.

[35]
بذلة العريس

نجلاء لم تترك لعز الدين شيئا يختاره بنفسه حتى بذلة العريس تدخلت فيها.. طلبت منه أن يشتريها سوداء وأن يكون القميص أبيض اللون وربطة العنق سوداء والحذاء أسود.. لم تترك له شيئا يختاره سوى الملابس الداخلية والجورب.. حتى بيجامة النوم الخاصة بالعريس اشترتها له سوداء.. هي تفضل اللون المشمشي ولكن بالنسبة لملابس

العريس فإنها تفضل اللون الأسود حتى أحس أنها تنوي أن تسوّد له أيامه.. وذات مرة مازحها قائلا: "ما رأيك لو اشتريت بذلة عرس مشمشية اللون".. فصاحت على الفور: "لا رد بالك".. فتبسم وحمد الله أنها أراحته من هذا اللون السخيف الذي أصبح أكره الألوان بالنسبة له بسببها.

في المساء اتصل بها ففوجئ بلكنتها الغريبة معه حيث خاطبته والبكاء يغلب على صوتها: "ليش يا عز الدين اتقول لخوتي على الفاتحة وانا كنت معاك في الصبح ما عبرتنيش".. فرد عليها: "إن موضوع تحديد عقد القران لم يتم إلا مساء وفي وقت متأخر جدا بعد لقائنا بسبب سفر عمي إلى بريطانيا لمرافقة شقيقي أنور".

كان يتمنى أن يكون سبب رغبتها في الاتصال من أجل الاطمئنان على صحة شقيقه الذي لم تدعه ينتظر قدومه حتى يحضر حفل زفافه بسبب إلحاحها الممل لتحديد موعد الزفاف.

أجابته والدموع تملأ عينيها: "أنت تستكرد فيا يا عز الدين المفروض الفاتحة تدوي معاي أنا موش مع خوتي أنت ديما تستكرد فيا حتى لما ركبت معاك في السيارة ما كنتش تبحت فيا، كنت أنا ندوي معاك وانت ما تبحتش فيا".. ثم عقبت بلكنة شديدة: "صاحباتي لما يركبن مع خطّابهن قريب ياكلوهن بعيونهم".

رد عليها عز الدين: "إن الناس عندما يرون السائق ينظر للفتاة التي بجانبه فإنهم يدركون أنها ليست زوجته ولا شقيقته لأنه لا يوجد

سائق ينظر إلى زوجته أو شقيقته وإذا حدق السائق النظر لفتاة تجلس جواره فسيعتقدون أنها عشيقته وهو لا يريد لها الإساءة".. فردت عليه بلكنة عصبية: "أنت داير حساب واجد للناس أنا الناس ما يهمونيش بكل".

وقعت كلماتها في أذن عز الدين كالصاعقة ثم طلبت منه تأجيل العرس قائلة: "أنا بصراحة نبي نحتاج أننا نفهموا بعضنا ومن رأيي انأجلوا العرس شوي نين انشوف أنا الراجل اللي نبي انعيش معاه، متفاهمة معاه وإلاّ لا".. وشككت في حبه لها فحاول طمأنتها بأنه يحبها فردت عليه: "كلام بس يا عز الدين لو كنت تحبني رانك نفذت رغباتي".. ثم عقبت: "ولا رغبة يا عز الدين نفذت لي ولا رغبة".

حاول تهدئتها ببعض كلمات الحب فردت: "الكلام على الحب أنت كبير عليه ما نكش صغير عمرك تو 42 سنة وحتى أنا ما نيش صغيرة عمري 30 سنة، الحب موش كلام الحب فعل، وبعدين أنت كلمة نحبك ما تقولش فيها لي إلا لما نطلب منك حاجة، تقول فيها بس عشان تغير الموضوع".

قام بتهدئتها وودعها بعد أن حددت له موعدا بعد الغد في مكان عملها الساعة التاسعة والنصف صباحا.. وما أن أنهى عز الدين المكالمة حتى جلس ليتنفس الصعداء والهمّ والنكد يعصفان به متسائلا هل من المعقول أن كل هذا البكاء من أجل كونه أراد تحديد موعد عقد القران مع أخوتها وليس معها؟. ومن المفترض أن تغمرها السعادة

وليس الحزن فرحا بعقد القران الذي طالما انتظرته.. حتى إنها أغرته ذات يوم بقبلة بعد عقده قائلة: "بعد ما تقرأ الفاتحة انخليك اتبوسني".

في المساء ذهب بصحبة والدته لحضور حفل زفاف أخيها رفعت.. وللأسف لم يتمكن أيّ شخص من أهله من تلبية الدعوة سواها.. فالبيت مليء بالضيوف وهناك كثير من الأشياء المتعلقة بالعرس يقومون بإعدادها.. وصل إلى قاعة المناسبات المقام بها حفل زفاف شقيقها وعندما بلغ باب القاعة لإنزال والدته فوجئ بنجلاء تفتح الباب وكأنهما كانا على موعد.

نظر إلى عينيها محاولا مخاطبتها بلغة العيون متمتما.. بعد أيام ستكونين أنت الأخرى عروسا.. لم تعجبه نظرة عينيها وأحس أن بهما تقطيبا.. وفي تلك الأثناء تقدم منه أخوها عدنان لمصافحته.. فدخلت وأغلقت الباب وتوارت حتى عن عيون أمه.. صافح أخاها بحرارة ودخلت أمه إلى القاعة.. بعد ذلك قام بوضع السيارة في المكان المخصص ونزل ليبارك لأصهاره بمناسبة الزفاف.

كان أصهاره فرحين به أشد الفرح وأخذوا يعرفون الناس عليه قائلين هذا صهرنا الجديد عز الدين.. ثم حضر معهم وجبة العشاء التي اعتقد أنها ستكون الوجبة الأولى.. ونظرا لضيق الوقت لم يمكث معهم طويلا فهو أيضا عريس وهناك كثير من الأعمال المنوطة به.. خرج مسرعا لبعض الوقت ثم عاد لأخذ والدته من القاعة وأثناء رجوعه وإيّاها إلى البيت سألها هل شاهدت أهل نجلاء يوزعون بطاقات الدعوة

الخاصة بعرسها على المدعوين؟. فأجابته أنها لم تر ذلك.. فساوره بعض الفتور فقالت له والدته إن توزيع البطاقات أثناء المناسبة يعتبر أمرا غير لافت للنظر وهي لم تنتبه لذلك.. ثم عقبت بأن أهلها فرحوا بي كثيرا واستقبلوني بحفاوة بالغة وكانوا يشيرون علي للضيوف قائلين هذه عمة نجلاء.. وعندما سألها هل قابلت نجلاء أجابته لم أرها إلا في آخر لحظات رغم أنهم أرسلوا لها كثيرا ليبلغوها بوصولي ولكن يبدو أنها كانت مشغولة جدا فهي شقيقة العريس وعروس الغد.

[36]
ذبح الخراف

وصل عز الدين إلى بيته وكان الوقت متأخرا فوجده مكتظا بالضيوف ورائحة الشواء تحف بالأرجاء.. ورغم التعب الشديد آثر أن يجالس الضيوف الذين قاموا بتهنئته بمناسبة الزفاف القريب ثم استأذنهم للخروج لأن هناك كثيرا من التجهيزات الملزم بها.. في الطريق عرج على الجزار فأخبره أن كل شيء يسير كما تحب لقد قمت بذبح الخرفان العشرة وقطعتها إلى الحجم الذي طلبته مني وهي في الثلاجة تنتظر أسنان المدعوين ثم ضحك ملء شدقيه وقال له: لا تنسانا من الوليمة.

شكره عز الدين وقام بدفع المبلغ المتفق عليه وتابع طريقه إلى الشقة حيث أخلد للنوم بمجرد وصوله.. وفي اليوم الثاني توجه لبيت العائلة حيث الاستعدادات للمناسبة على أشدها فقد اقترب اليوم المنتظر.. وبعد جهد جهيد اتصل بالعروس ليبارك لها بمناسبة زفاف أخيها فردت عليه وسط أهازيج صباحية عروس أخيها والأسرة تحتفل بقدوم العروس الجديدة.. تمكن بصعوبة بالغة من التحدث إليها.. عرض عليها أن يذهبا في أقرب فرصة مع بعضهما إلى السوق لتختار الدبلة بنفسها وتحجز الديكور على ذوقها.. لقد أثر فيه بكاؤها فدمع نجلاء بالنسبة لعز الدين غال.. وقال في نفسه إن كانت بعض الطلبات السخيفة ستسبب مشاكل فلماذا نتركها تستفحل؟. حددت معه موعدا عند الساعة التاسعة والنصف صباحا ولكنها قامت فيما بعد بتأجيله

للساعة الحادية عشرة لغاية في نفسها حيث ذهبت إلى أحد محلات الهواتف النقالة واشترت نقالا جديدا بالمبلغ الذي أرسله لها مع بطاقات الدعوة وهو 150 دينارا من أجل المزين، وقامت ببيع النقال الذي اشتراه لها سابقاً.. باعته خردة بثمن بخس وهو 25 دينارا واشترت بثمنه كروت شحن.. حدث كل ذلك وهو لا يعلم ثم كان الموعد حيث ستجبره للمرة الثانية أن يأخذها بالسيارة من وراء ظهر أهلها لتختار الدبلة وديكور القاعة بنفسها غير آبهة بسمعته.. ولم يكن يحمل مالا كثيرا لذلك أحب أن يصارحها بأن عليها أن تختار ديكورا على قدر الإمكانات.

كان من المفترض أن تجلس العروس في بيت أهلها ويتكفل كل شخص بما عليه من التزامات ولكن المجتمع الليبي مجتمع متعدد الثقافات فكل أسرة لها طقوسها الخاصة ويبدو أنه وقع بين فكي نساء غريبات عن المجتمع الليبي الطيب.. نساء يردن أن يخترن كل شيء بأنفسهن رغم أنهن في عرس شقيقتها آمال كن في قمة الرقي والدبلوماسية حيث تكبدت شقيقتها أغلب المصاريف التي كان من المفترض أن يئن بها ظهر العريس ولكن الدنيا حظوظ كما يقولون.. في ذلك اليوم كان عز الدين قد قام بحذف يوم آخر من الجدول الذي أعده قبل أسابيع من موعد العرس.. حيث لم يتبق سوى ثلاثة أيام.. ثم توجه في الموعد المحدد وكله شوق إلى مكان عمل العروس بناء على رغبتها.. كان حليق الذقن يرتدي هنداما لائقا وقد حرمته من حلق ذقنه يوم العرس ككل العرسان.. حيث يحفظ الشعر الكثيف الوجه من أشعة

الشمس.. وبمجرد حلقه يعطي العريس بهاء ونورا ونعومة.. ولكن العروس سامحها الله لم تدعه يتمتع بهذه الخاصية فهي لا شغل لها ولا مشغلة سوى تعال يا عز الدين.. أريدك يا عز الدين.. لا بد أن تأتي غدا يا عز الدين.. إنه عيد ميلادي يا عز الدين.. كانت تقوم بتعطيله أثناء سعيه الدؤوب من أجل التجهيز للمناسبة.

في الأيام التي تسبق العرس بقليل عادة ما يكون العريس بحالة يرثى لها، بسبب التعب والكد أثناء التجهيزات التي تتطلبها المناسبة ومن المفترض أن ينقطع الاتصال بين العروسين.. ولكن هذه العروس هي أغرب عروس شاهدها في حياته.. فهي تقوم بتعطيله وعرقلته بدلا من مساعدته.

عندما تطلب منه الحضور إليها فإن هذا يعني أن يترك كل شيء في يده وأن يقوم بحلق ذقنه وأخذ حمام وتغيير هندامه وغسل سيارته وتنظيفها من الداخل والخارج ثم يعود بعد المقابلة ليجد كل شيء في البيت قد تعطل أو لم يتم بالطريقة التي يريد، ثم يتعرض لأسئلة محرجة من قبل أهله.. أين أنت يا عز الدين؟؟؟.. هل من المعقول أن تغيب كل هذا الوقت عن البيت؟؟؟.. العمال يريدون الشيء الفلاني ويبدأ التقريع واللوم والتوبيخ.. وأخذ يوجه اللوم للآخرين الذين لم يراع أحد منهم أنه قد تورط بالارتباط بشيخة نجع.. امرأة تريد أن تراقب كل شيء بنفسها.. امرأة تريد رجلا كالخاتم في يدها.. امرأة حديدية.. امرأة تصلح لأن

تكون أمينة لجنة شعبية عامة أو أمينة مؤتمر شعبي أساسي.. امرأة قدت من فولاذ.

وأخذ يردد داخل نفسه كم جميل أن تجلس العروس في بيت أهلها والخجل يغمر محياها!!. ما يحضرونه لها تأخذه بهدوء وصمت.. إن هناك كثيرا من العرائس يتسترن على عرسانهن أمام أهلهن فيشترين ما عجز العريس عن شرائه ويدعين أنه هو الذي اشتراه لهن.. أما هذه فتدخلها عجيب وغريب.. هناك أولويات يقوم بها العريس أولا وهناك فروع يقوم بها في آخر لحظة.. فالديكور والدبلة تعتبر أمورا ثانوية قد يتم تجهيزها في آخر لحظة وقد تقدم كهدية من أحد الأصدقاء.. ثم تنهد وهو يتمتم داخله: سامح الله نجلاء التي لم تدعني آخذ نفسي فهي خلفي في كل شيء.. ثم تذكر كلماتها: "الديكور لازم نختاره أنا لأن الديكور إذا طلع ما ينفعش، حتى الصور يطلعن ما ينفعنش"!!.

تأمل عز الدين كلماتها وتساءل بينه وبين نفسه: "هل همّها عند التقاط الصور هو الديكور أم الرجل الذي سيقف بجانبها في الصور"؟. كانت تتابع ما يجري ببيت العريس وتصدر أوامرها لهذا العاشق الأبله بدلا من أن تتفرغ إلى بيتها وما يخصها.. قال لها يوما نحن لم نتدخل في خصوصياتكم فلماذا تتدخلين في خصوصياتنا؟. دعي كل عائلة تلتزم بما عليها.. نحن لم نتدخل بحلوياتكم ولا مصوركم ولا إذاعتكم فأجابته: "نحنا حانجيبوا أفخم نوع من الحلويات حانجيبوا تورتات".. فرد

عليها: "ونحن أيضا سنحضر أفخم نوع من الديكورات وكل شيء يتعلق بنا سنحضر أفخم نوع منه".

وصل عز الدين على مضض إلى مكان عمل نجلاء تاركا كل مشاغله وراء ظهره حيث أوقفه ضابط الأمن عند الباب المكتظ بالبشر وسأله كالعادة: من تريد؟.

كانت نظرات الازدراء على محياه بعدما سأله نفس السؤال في المرة السابقة: ما قرابتك بها؟ فأجابه بأنه خطيبها.. دخل الضابط متبرم السحنة مما جعل الضيق يبدو على وجه عز الدين الذي تمتم داخل نفسه: "سامحك الله يا نجلاء على هذا الموقف المقيت الذي عرضتني إليه".

بعد قليل عاد ضابط الأمن إلى مكانه دون أن يسمح له بالدخول ولكن لم يدم الانتظار طويلا فقد خرجت نجلاء من مكتبها وتوجهت نحو عز الدين.. صافحته وخرجت معه شاقة الزحام الآدمي عند الباب غير آبهة بالعيون ففي نظرها أن هذا خطيبها وهي لم ترتكب أي خطأ وإن اختلفت الثقافات.. ثم صعدت إلى السيارة دون محرم ضاربة ثقافة عز الدين المعقدة عرض الحائط.

[37]
فندق تيبستي

أدار عز الدين محرك السيارة بصحبة نجلاء وما أن انطلقت بهما حتى سألها ما رأيك هل نذهب لشراء الدبلة أولا أم الديكور؟ فأجابته: "قبل ما نمشوا للسوق نمشوا لفندق تيبستي عندي كلام نبي انقوله لك

بعدها نمشوا نشروا الدبلة".. ثم عقبت: "حتى المحلات امتاع الذهب أكيد امسكرات توا".. لم يعجبه طلبها فقد خاف أن تطلب تأجيل العرس وهو قد قام بذبح الخراف وتجهيز كل ما يلزم بالإضافة إلى أنه قد وزع بطاقات الدعوة على الناس وقام بتعليق عقود الزينة على البيت.

انطلقا معا حتى وصلا إلى فندق تيبستي بناء على رغبتها.. المكان فخم وهو فندق خمسة نجوم ويعتبر أفخم فندق في مدينة بنغازي.. توجد أمامه بحيرة كانت متنفسا لسكان المدينة ومليئة بسمك البوري أما الآن فقد أصبحت مصبا لمجاري المدينة وأصبحت رائحتها الكريهة تثير الاشمئزاز وغادرها سمك البوري والغيظ يغمر محياه وحتى الجسر الذي يتوسطها تعرضت قواعده للتآكل بسبب المواد الكيماوية التي تتخلل تلك المجاري اللعينة.. مما اضطر إلى إغلاقه من أجل صيانة طويلة الأمد.. دخل عز الدين ونجلاء إلى الفندق كأجمل عاشقين.. في الحقيقة لم تكن له رغبة في دخوله غير أنه مكره أخوك لا بطل.. من أجل أن تحج نجلاء إلى هذا المكان المقدس بالنسبة لها، دخلت معه في مشاكل لا تحصى ولأجل أن يرضيها تنازل ودخل بصحبتها إليه دون محرم.. لقد كان تقليديا حتى النخاع وهي حداثية حتى الجنون.. عندما اقتربا من الباب تم فتحه أوتوماتيكيا فدلفا إلى الداخل وبمجرد دخولهما تذكر حديثه معها أنهما سيقضيان ليلة الدخلة فيه وتذكر رغبتها المختلفة حيث قالت له: "خلينا انقضوا ليلة الدخلة في شقتنا أحسن".

شرد ذهنه قليلا ولكن نجلاء قطعت شرود ذهنه بقولها: "هناك مقهى عائلي في الدور الرابع عشر اسأل الاستعلامات عنه".. تعجب من ثقافتها الفندقية، فهو لم يسمع بهذا المقهى طوال حياته.. سأل الاستعلامات عنه فأجابه أن هذا المقهى يفتح في الفترة المسائية ولكن يوجد مقهى في الدور الأول وآخر في الدور الثاني.. ذهبا للمقهى الموجود في الدور الأول فهما لن يتأخرا كثيرا.. أخذا طاولة وجلسا وهنا انتبه عز الدين إلى أنه لم يسحب لها الكرسي ويجلسها بنفسه عليه كما تتطلب اللباقة فقد تعلم ذلك من خلال الأفلام.

اعتذر لها عن عدم خبرته في اصطحاب الجنس اللطيف وأنه لم يُجلسها بنفسه فأجابته بابتسامة باهتة: لا عليك لا يوجد أي مشكلة.. جاء النادل وسألهما ماذا تطلبان؟. فطلب عز الدين قهوة وسألها: ماذا تطلبين؟ فأجابت بتبرم قهوة.. كان من المفترض أن يسألها ماذا تأكلين؟ فالوقت وقت غداء ولكن الأبله لا ثقافة لديه لمجاراة العصر.. أحضر النادل القهوة فارتشف كل منهما من فنجانه فالمكان لا يسمح لهما بالارتشاف من فنجاني بعضهما كما كانا يفعلان في بيتها.

[38]
جلسة رومانسية

أخبرته أنها قالت لأهلها أن هناك زميلات لها يقمن بالقرب من بيت شقيقتها منال وأنها ستذهب معهن في الحافلة لزيارتها وتناول وجبة الغداء عندها.. كان بجعبتها كلام كثير وكبير.. راقبها جيدا بانتظار أن تفصح عما تريد وهو يدعو الله أن يكون ما تطلبه بمتناول

يده وشيئاً يخصها ولا يخص عائلته.. بعد برهة من الوقت أجابت نحن لا نصلح لبعضنا وعلى كل منا أن يتوجه لحال سبيله.. فرد عليها: "على راحتك ولك كل ما ترغبين".

كانت تلك الكلمات أقسى كلمات سمعها عز الدين طوال حياته رغم أنه قد تعرض للكثير من المواقف القاسية.. كلماتها كانت أشبه برصاصة الموت أثناء تنفيذ حكم إعدام غير عادل.. ثم استفسر منها عن السبب فأجابته بأسلوب حاد مقيت: "انت لم تلبِّ رغباتي".

ثم عقبت غاضبة: "طلبت منك نختار الدبلة ما بيتش اتخليني".

أجابها إن من عاداتنا أن تلبس العروس الدبلة يوم عقد القران "الفاتحة" حيث ستُلبسها لك أمي شخصيا.. أطلقت عنان لسانها قائلة: "أيّن عاداتكم الناس يخطبوا فيا يا عز الدين لأني بلا دبلة"!!!.

طلبت منه الشهادة الصحية التي استلمها من الهلال الأحمر لأجل عقد القران.. وما أن أعطاها لها حتى نظرت إليه شزرا ثم استجوبته: "ليش ما جبتها معاك مع الكروت بعد جيت للحوش".. فأجابها: "كنت أريد أن أسلمها لك شخصيا فهي تخصك أنت".. استنكرت تصرفه وأنبته بقسوة بحجة أنها تريده أن يستلمها من إخوتها شخصيا ثم يسلمها بعد ذلك للمأذون.

بعد ذلك عقبت والشرر يتطاير من عينيها: "وطلبت منك تخليني نختار الديكور امتاع صالة المناسبات ما بيتش اتخليني".!!!

"ونختار الصالون ما بيتش اتخليني"!!!.

"ونختار الانتريه امتاع الشقة ما بيتش تخليني"!!!.

"وطلبت منك الكرت كل عائلة اسمها ينكتب في كرت بروحها ما بيتش اتدير كيف ما انا نبي"!!!.

أجابها: "إن أصول العرس المشترك أن يجمع العائلتين كرت واحد حتى لا يحدث إرباك بالنسبة للمدعوين".

قالت له: "وبعدين حتى بالتلفون ما تكلمش في.. خوي رفعت كل يوم يكلم في خطيبته وما يدير شي نين يشاورها وجميع اللي تبيه يدير فيه لها"!!!.

رد عليها: "أنا لا أملك نقالا للاتصال بك يوميا بالإضافة إلى أنني موجود أغلب الوقت في الشقة مع العمال"!!!.

أجابته: "ليش ما تشحت نقال خوك حافظ وتخليه معاك في الشقة أيش معنى أنا نشحت في نقال خوي ونحرج فيه ديمة"!!!.

فغر المسكين فاه فالنقال أصبح أشبه بالبطاقة الشخصية ولكل شخص خصوصياته المخزنة داخله.

ثم عقبت: "وطلبت منك تحجز لي في صالة العوسج ما بيتش وحجزت لي في صالة النادي الليبي، أنا هذي أكره صالة عندي"!!!.

أجابها: "لقد حجزت في النادي الليبي لأنه قريب من بيتكم، حاولت أن أخفف التعب على عائلتك".

ثم عقبت: "حتى المكالمة الأولى ما بيتش اتكلمني نين أنا اللي كلمتك"!!!.

قال لها: "ألم أقم بطلاء غرفة الجلوس وغرفة النوم باللون المشمشي كما ترغبين"؟!.

فردت عليه بنبرة سوقية حادة (جلاطة) وهي مقطبة الحواجب: "ما زوقتهنش كيف ما نبي أنا نين نشفت لي ريقي"!!!.

بعد ذلك قالت له: "نقول لك هي نطلعوا مع بعضنا تقول لي معقولة نطلعوا مع بعضنا ويشوفونا الناس وحدنا شنو قالوا لك عليّ"؟!.

ثم تساءلت: "ليش كاتب الشقة باسم خوك أنور"؟!.

تعجب عز الدين من هذه المعلومة التي بينت له أنها قامت بزيارة الشقة أثناء غيابه وقرأت عقد الإيجار.. أجابها أنا لا أملك كتيب عائلة خاصا بي وحتى تسجل باسمي لابد أن أكون متزوجا.

بعد ذلك صاحت بنبرة سليطة: "صاحباتي انقول لهن إن خطيبي شاعر لعند تو ما كتبتش فيا غير قصيدة وحدة ورسالتين"!!!.

أجابها الشعر ليس في يدي هناك دوافع معينة هي التي تثيره ونحن علاقتنا جيدة فلذلك من الصعب أن يُثار.

تبرمت وقالت: "أنا خطبتي ما تمتعتش بيها"!!!.

أجابها: "إن أهلك لا يريدونني أن آتي إلى البيت للالتقاء بك".

ردت عليه بلكنة حادة: "من وراهم"!!!.

نظر عز الدين إليها بتعجب متسائلا داخل نفسه ما الذي حدث في هذه الدنيا.. من المفترض أن يحاول الشاب إغراء الفتاة بالخروج معه

ويكون الاعتراض منها واليوم يشاهد فتاة تلوم رجلا على عدم خروجه معها وكأن الموازين قد انقلبت.

نظرت إليه بتمعن ثم قالت: "أنت حتى تأثر ما تأثرتش"!!!.

كانت تريده أن يموت من الصدمة رغم أنه تأثر وذهل إلى أقصى حد.

قال لها الأمر كما تشائين وكم تمنيت أن قلت لي هذا قبل أن أوزع بطاقات الدعوة وأذبح الخراف وأعلق عقود الزينة على البيت وأدعو الناس لحضور العرس ولم يتبق سوى أيام ثلاثة.

قالت له: "فيه بنات واجدات يرضن مازال فيه وقت وانت تبي مراة وخلاص، وعلى كل حال بالنسبة لفلوسك اللي دفعتهن لي أيش رايك تأخذ الأشياء اللي جبتهن أنا للشقة يوم التفريش وتخلي الفلوس ليّ وكان تبيني انجيب لك فيهن فواتير نجيب لك"!!!.

رفض عز الدين العرض السخي وقال لها: "بالنسبة للأشياء التي قمت بإحضارها إلى الشقة سوف أعيدها إليك وبالنسبة للمال الذي دفعته لك لشراء حاجياتك سأتفاهم بشأنه مع رجالك".

حينئذ عرضت عليه عرضا آخر اعتقدت أنه عرض مغر ينقذ الموقف: "عز الدين انكان عاجبتك العائلة أنا مستعدة نكلم لك أختي جمانة هي معجبة بيك وديمة تدافع عنك وحتى الحاجات اللي ترقي فيهن لي هي عندها عادي"!!!.

ذهل عز الدين مما يسمع ثم قام برفض العرض السخيف برمته.

قالت له: "عموما بالنسبة لفلوسك أنا تو قعدت نشتغل وقعد عندي مرتب ونقدر نردهن لك من راتبي"!!!.

قال لها: "لا تحملي هما بالنسبة لما دفعته لك".. وتساءل داخل نفسه عما تحتاجه من الوقت لإعادة ما سببته له من خسائر مادية ومعنوية.

أخرجت النقال من حقيبة يدها لتتصل بأخيها عدنان فحدق عز الدين بالنقال متعجبا.. فعقدت حاجبيها ثم قالت له: "هضا موش نقالك، نقالك بعته رابش بـ 25 جنيه هذا نقال جديد".. ثم لوحت بالنقال إلى وجهه المذهول.

قالت تلك الكلمات ونسيت أن النقال الجديد قد اشترته بحرِّ ماله أيضا عندما طلبت نقودا لأجل المزين في اللقاء السابق.

لقد ظلا معا بمفردهما من الساعة الحادية عشر حتى الساعة الرابعة ثم اتصلت بأخيها عدنان فتأكدت أنه ليس في بيته فأخبرته أنها سوف تأتي لزيارتهم فرحب بها ثم وضعت النقال في الحقيبة وطلبت من عز الدين أن يذهبا سويا إلى الشقة لتأخذ صورها ثم يقوم بتوصيلها إلى بيت أخيها.. طلبت منه ذلك بعدما اطمأنت أن أخاها خارج البيت.

عندما أرادا الخروج قالت له: "لما نقعد بلا غداء انحس دوخة في راسي"!!!.

أجابها: "سنذهب إلى أي مكان تحبين من أجل أن تتناولي وجبة الغداء".

ردت عليه: "ليش ما قلتها من الأول ما هو من امبكري وانا قاعدة يالاك"!!!.

رد ببلاهة: "أنا لا أعرف أنه يوجد مطعم هنا".

فردت عليه بعينين مكذبتين: "يعني تو مانكش عارف يا عز الدين أن تيبستي فيه مطعم"!!!.

أجابها: "أنا أقصد عن المقهى الذي تناولنا فيه القهوة لا أعرف أنه يقدم وجبات غداء".. ثم عقب أنا لست بخيلا.

ردت بأسلوب جاف: "انا ما قلتش عليك بخيل"!!!.

[39]
الطريق إلى الشقة

خرجا سويا من باب الفندق الفخم ونزلا عبر السلالم إلى حديقته وقد كان من المفترض أن يقضيا فيه ليلة الارتباط بدلا من عشية الافتراق.. كانا يسيران بجنب بعضهما بخطواتهما الأخيرة نحو سيارته المتآكلة وأثناء المسير مرّت سيارة مسرعة بقربها فكادت تصدمها فأمسكها من ذراعها وجذبها للرصيف خوفا عليها فدفعت يده بقوة فقال لها: "إنني لا أقصد شيئا".

أجابته: "أعرف ذلك".

ثم دخلا السيارة وانطلقا نحو الشقة ولسان حاله يقول: "هل هذه المرأة سوية؟. وكيف خدعت بها كل هذا الوقت"؟. في الطريق قال لها: "تقولين أنني لم ألبِ لك أي رغبة وقد كنت أسمح لك بالذهاب إلى

الأعراس عندما كنت تبحثين عني للاستئذان مني وكذلك لم أمنعك من العمل عندما تحصلت على وظيفة".

أجابته: "لم يكن ذلك من حقك وإنما كنت أستأذنك مجاملة فقط ولو رفضت السماح لي بالعمل لفسخت الخطوبة"!!!.

وصلا إلى العمارة حيث يسكن فتركها في السيارة ولم يدعُها للنزول معه وصعد السلالم حتى وصل إلى الشقة وقام بالدخول بمفرده إلى غرفة النوم وأخذ آخر صورتين من صورها وتأملهما جيدا وهو يتمتم: "أيعقل أن تكون نهاية هذه العلاقة مأساوية بهذا الشكل"؟!.

تأمل الصورتين جيدا وقام بتوديعهما فقد كانتا جزءا منه ثم تأسف كثيرا لأنه عاش مخدوعا طوال هذه الفترة وهو بين المصدق والمكذب.. وأخذ يردد داخل نفسه أن إخوتها كانوا من أفضل الناس ولكن هناك فتيات لا سلطان لأهلهن عليهن وهذه النوعية سوف لن يكون لأزواجهن سلطان عليهن.. بعد ذلك نظر سريعا إلى أدوات المطبخ التي أحضرتها وتذكر حرصها الشديد على الصناديق والأكياس وأحس أن في الأمر مكيدة مبيتة.

حدق في الشمعدان الذي أحضرته وتذكر كلامها له على الهاتف "عندما تكون لدينا مناسبة سأوقد لك الشمعدان وسأرتدي لك أجمل ثيابي ونحتفل سويا على ضوء الشموع".

ثم تأمل الصراصير التي جلبتها معها في الصناديق مودعا وقام بإغلاق باب الشقة ونزل إلى السيارة حيث تجلس عروس آخر زمن

بمفردها وسلمها الصورتين فنظرت إليهما ثم سألته بأسلوب حاد: "ألا يوجد صور غيرهما"!!!.

أجابها: "أنه سبق أن سلمها كل الصور ولم يحتفظ سوى بهاتين".

لم تصدقه ثم قالت له: "ألم تستخرج عنها نسخا"!!!.

أجابها بالنفي فقالت له: "حتى كان تبي اتدير بيهن شيء ما يهمنيش"!!!.

أجابها: "أنا لست قذرا لأفعل ذلك".

ثم توجه بها إلى بيت أخيها عدنان بمنطقة السلماني وما أن وصلا حتى نزلت والنقال في يدها والتعجب باد على وجهه فطوال ذلك الوقت وهي معه بمفردهما وأهلها يظنون أنها موجودة في بيت أختها منال ولم يدرِ ما الوسيلة التي ستخبرهم أنها وصلت بها لبيت أخيها عدنان أم أنه لا أحد يسأل؟!.

لقد أوصلها إلى بيت أخيها معززة مكرمة رغم الألم الذي ألحقته به.. كان باستطاعته أن يتركها تستقل سيارة أجرة وكان باستطاعته أن يضربها أو يمزق ثيابها.. هو لا يدري كيف ركبت معه السيارة؟. ولم تخف أن يخطفها وبخاصة أن الباب الذي بجنب السائق لا يفتح إلا بصعوبة بالغة.. أراد أن يضحي من أجلها ويدعي أمام المجتمع أنه هو الذي غدر بها خوفا على مستقبلها الاجتماعي ولكنه لم يجسر.. ليس لأنها لا تستحق فقط ولكن لأن مواجهة المجتمع بالغدر خطيئة لن تغتفر أبد الدهر وستعود سلبياتها عليه وعلى ذويه.

رغم الإساءة التي ألحقتها بعز الدين فقد كانت مطمئنة أثناء صعودها الأخير للسيارة لعلمها أنه ليس إنسانا سيئا بل على العكس فهي تعتبر حسن الخلق سذاجة ولا يشرفها أن ترتبط برجل ساذج تعرض عليه فتاة الذهاب معه فيأبى وعندما ترغمه فإنه يغض النظر معتقدا أن ذلك احتراما لها.. وعندما تخبره أنها ستزور الشقة يخرج ويتركها لها بمفردها تفعل بها ما تشاء.

لقد أخذت الصورتين وهي تعتقد أن هناك صورا قد احتفظ بها وكان هذا الاعتقاد خاطئا.. إن عدد الصور التي سلمتها له حوالي 40 صورة.. لقد زين بها غرفة النوم ثم أعادها لها واحتفظ بهاتين الصورتين بناء على رغبتها وهاهو يعيدهن إليها من جديد.. بعد ذلك اللقاء العجيب أحس عز الدين أن الأرض بدأت تضيق برغم رحابتها فانطلق باحثا عن هواء نظيف بعيدا عن البشر.. وكله أسى وألم والاستغراب باد على محياه وقدماه تحملانه بشق الأنفس.. بينما شريط الذكريات يطارد ذهنه من مكان إلى آخر.

[40]

البحر

اتجه عز الدين نحو البحر.. الملجأ الآمن للشعراء على أمل أن يخفف البحر عنه بعض الألم.. أوقف السيارة قرب الشاطئ وترجل ماشيا على الرمال البائسة متجنبا النفايات التي رماها المصيفون من

العلب وبقايا قشور البطيخ وأكياس البلاستك.. وما أن وصل إليه حتى فوجئ بمياه المجاري الكريهة الرائحة تصبّ جام غضب المدينة فيه.

رأى صورة نجلاء تتوسط الأسماك المقززة وهي ترتدي فستان الفرح المشمشي.. ويداها محنيتان بما جادت به المدينة من فضلات آدمية.

أخبره السمك أنها زُفّت لعريس بحر.. أحس بصداع المشمش يعصف برأسه فهل سيجد هو الآخر عروس بحر تخرجه من هذا الموقف اللعين؟. تذكر كيف كانت تخلع حذاءها في بيتها أثناء زيارته لها لعلمها أنه لا يحب السير بالحذاء على الفرش.. تذكر كيف كانت تركض على السلالم وبيدها النقال دونما تأبه بسلامتها من أجل البحث عن التغطية، بمجرد أن تعلم أن المتصل هو عز الدين.. تذكر كيف كانت تتحدى الظلام رغم خوفها الشديد منه من أجل سماع صوته.

طلبت منه الأسماك أن يسمعها شيئا وليد اللحظة فلم يعرها اهتماما، ثم أخلد للنوم على الرمال من شدة التعب والإعياء.. كانت مياه البحر تدغدغ رجليه المنهكتين والأسماك المقززة تحاول نهش جلده المتهرئ.

لا أحد يعلم حجم الألم الذي يحس به الذين حوله.. كل يخفي جراحه عن الآخرين.. ولدى كل إنسان ذكريات مؤلمة تمكن الزمن من إزالة وطأتها.. ولكن هناك آلام في قلب كل منا لا تزول حتى خلال حشرجة النفس وصعود الروح.. بل إن هناك آلاما تصعد معنا إلى ما

بعد الموت.. ترافقنا للجنة أو للسعير.. وأصعب تلك الآلام هو ما يلحقه بك إنسان مقرب سلمته ظهرك فقام بطعنك دون سبب.. إن العدو المعلن قد لا تُكِنُّ له أي نوع من الحقد وربما عفوت عنه في لحظة الانتقام.. وطعنته غالبا لا تكون قاتلة لأنها أصابتك من الأمام أما طعنة المحب فهي أشد فتكا لولوجها من الخلف.

استيقظ عز الدين من النوم فجأة فوجد نفسه يعيش حلما وواقعا مريرين.. فناجى نفسه قائلا: "لقد قدر الله لي أن أعيش حياتي كلها بين المآسي، فقد قذفت بي أمواج القدر طفلا صغيرا حدثا في خضم المتاهات وعندما قدر لي أن أعود تلقفتني المصائب وبجهد جهيد تمكنت بعد عشرين عاما من جمع بعض النقود الهزيلة من أجل أن أُسس أسرة وأستقر، مثلي مثل أصدقائي وإخوتي بعدما أرهقني عدم الاستقرار".

كم تمنى أن غدرت به قبل أن يوزع بطاقات الدعوة وقبل أن يذبح الخراف ويجهز المواد التي بواسطتها سيعد الولائم.. وقبل أن يقوم بتعليق عقود الزينة على البيت.. ماذا سيقول للناس الذين أخذوا يتوافدون من كل حدب وصوب لتلبية الدعوة؟. ما حزّ في نفسه أنه في الوقت الذي كان فيه يقوم بتوزيع تلك البطاقات اللعينة على الأحباب كانت نجلاء قد قامت بدس بطاقاتها لعدة أيام ولم توزعها على أحبابها وأقاربها.. بل إنها اشترت نقالا جديدا بالمبلغ الذي طلبته مع البطاقات.. تذكر كلماتها له: "صاحباتي انقول لهن خطيبي شاعر لعند تو ما

كتبتليش غير قصيدة وحدة ورسالتين".. تذكر القصيدة الواحدة التي كتبها لها بشق الأنفس والتي فرحت بها كثيرا ولم تترك صديقة أو أختا إلا وقرأتها عليها.. تذكر كل ذلك ثم ردد القصيدة مخاطبا الكون الذي وقف مشدوها وهو يستمع لصخب شاعر مخدوع يدعى عز الدين، أما الرسالتان فقد ضاعتا للأبد لأنه لا يمتلك نسخا منهما وكان على ثقة أنها لا تعرف قيمتهما لذلك لم يفكر بطلبهما وخاصة أنه كأديب يجهد دائما للاحتفاظ بما تخطه يمينه.

ما أن انتهى عز الدين من قراءة القصيدة على الكون حتى فوجئ بصوت مجلجل ينحدر من السماء فأحس بنوع من الخوف والرعب فصاح: "من أنت؟. فإن كنت الموت فمرحبا بك، أنت وحدك وسيلتي للنجاة، انتظرتك زمنا طويلا، اقتحمت أماكن تربصك لأعثر عليك مذ كنتُ يافعا".. ذهبت صيحات عز الدين سدى فلم يكن صاحب الجلبة هو الموت بل كان الكون نفسه.. أراد أن يجيب عن سؤال عز الدين الغريب الذي سأله منذ زمن وإن كان متأخرا فلم ينصت له.

يجب أن أنهض فلست أنا الذي أتحطم من موقف مثل هذا.. سأواجه المدعوين.. سأرتدي بذلة العرس في اليوم المحدد وألتقي بهم وأقدم لهم أمسية شعرية.. أنا لم أرتكب أي ذنب حتى أفر من الناس.. لقد دعوتهم عندما وضعت يدي في يد امرأة طالما ركضت خلفي بلا خجل.. وطالما ألحت: "عدي احجز في صالة المناسبات يا عز الدين".. كانت تلح عليّ أن أرسل لها المال لتبدأ في شراء ملابسها.. لازلت أذكر كلماتها.. "عز الدين دز لي الفلوس بيش نبدأ في شراء الدبش قبل ما يخش الصيف لأن بشرتي بيضاء وما نتحملش الحرارة".. تذكر ادعاءها حب الشعر وهي لا تفقه فيه شيئا رغم ادعائها الانسجام أثناء إنشاده

لها بناء على رغبتها.. تذكر كل ذلك ثم تنهد ولسان حاله يقول لقد وضعت يدي طوال ذلك الوقت بيد فتاة مخادعة.

تذكر رغباتها التي لا تنتهي وحرثها عليه باستخراج بطاقة شخصية لها.. وتذكر كل ما فعله من أجلها دون فائدة.

بعد ذلك أخرج مفكرة الهاتف من جيبه وقطع الورقة التي بها أرقام هواتفها، النقال والأرضي.. ثم حفر قبرا في الرمال ودفن جثمان نجلاء الوهمي وقذف الورقة التي تحتوي على أرقام هواتفها فوق الجثمان ثم ردمها ولم يصلِ عليها لجهله بديانتها.. لأنه أدرك أن التي تفعل هذا الفعل وتحديدا قبل العرس بثلاثة أيام هي امرأة لا دين ولا خلق لها.. وقف على القبر الوهمي الذي اتخذه لها متمتما إن من يغدر بمن يحب هو إنسان ميت وإن كانت الروح لا تزال تهيم داخل جبروت جسده ثم كتب على شاهدة القبر اسمها.

وما أن انتهى من كتابة الاسم حتى انتفض البحر غاضبا فأرسل أمواجه على الشاطئ منتقما فتنبه عز الدين للكارثة الجديدة ثم صاح بصوت عال إنه الطوفان.. انقض الطوفان على الشاطئ وتمكّن من التقدم مسافات بعيدة على اليابسة ولم يعد أمام عز الدين سوى الركض بعيدا عن البحر علّه ينجو.. كان الطوفان سريعا جدا وخطوات عز الدين بطيئة جدا.. ولكن شاء القدر له النجاة.. فرغم الغرق الذي تعرض له لم يصب بأذى.. فقد كان الطوفان بلا ماء.

بحث عن المنابع التي تقذف جام قاذورات المدينة في البحر فلم يجدها.. وتذكر كلماتها: "أنت جففت المنابع يا عز الدين"!!!.. بحث عن الأسماك القذرة المقززة فلم يجدها.. بحث عن قبر حبيبته الخائنة فلم يجده.. ولكنه وجد شاهدة القبر تطفح بعيدا فوق سطح البحر حاملة اسمها إلى أعماقه علها تنسيه جرحا أصابه لحظة كان أسعد إنسان.

لحظة كان يحصي الأيام والليالي للقاء حبيبته.. التي لا يزال يتذكر كلماتها: "شريت لك روبين يا عز الدين واحد حمر والآخر مشمشي فوق الركبة بشبر حا نلبسهن لك".. ثم تعقب: "انت تحب القصير يا عز الدين خلاص انا موش حا نلبس لك إلا القصير".. لا أحد يصدق أن ينتهي كل هذا الحب بهذه النهاية المأساوية.

لقد سبق لشمشون أن تعرض لعملية غدر من قبل أنثى ولكن كان هناك هدف تعتقد تلك الغانية أنه هدف سامٍ من أجل خدمة شعبها.. أما هذا البائس فليس له قوة شمشون حتى يتمّ استغلاله.. هي التي زرعت حبها في قلبه.. قال لها يوما إنني أخاف ألاّ تكوني زوجتي فالدنيا دائما تسرق مني ما أحب فأجابته: "كون هاني أطمن خلاص كلمة وحدة ما فيش أي شيء في الدنيا يفرق بينا"!!!.

نظر إلى الشاطئ فوجد الطوفان قدْ طهّره وابتلع كل القاذورات بما فيها قبر نجلاء الوهمي ثم حدق للبحر مودعا وقفل راجعا وهو بين المصدق والمكذب.

[41]

الدور الرابع عشر

قادته قدماه إلى فندق تيبستي من جديد.. دخل إلى المصعد ودون أن يدري ضغط بإصبعه على الزر الرابع عشر حيث المقهى الذي تعشقه نجلاء وكان كل أمنيتها أن تتناول الطعام فيه.. أخبرته ذات مرة أنها سبق لها أن زارته مع شقيقتها منال وخطيبها قبل زواجهما بقليل.. دخل المقهى وتوجه نحو شرفة الفندق المطلة على بنغازي.. مدينة الحب والتاريخ.. مدينة الرجال الأبطال.. هذه المدينة التي قدمت الكثير ولا تزال تقدم.. تذكر الطغاة الذين جاءوا لخرابها فقذفتهم ببركتها فصاروا أثرا بعد عين.. هذه المدينة التي لم تهزم عبر الزمن.. مدينة الشباب العاطلين عن العمل.. مدينة كل المتناقضات.. من هذه الشرفة شاهد الوجه الجميل لبنغازي.. الناس البسطاء الطيبين.. وشاهد الوجه القبيح للمدينة حيث الأبالسة الشياطين.. ثم رفع عقيرته من أعلى الفندق محاولا إيقاظ المدينة من سباتها ولكن لا حياة لمن تنادي.. الشباب نصفهم في الخلوات حيث الهيام الروحي الجميل والترتيل جعلهم يعثرون على ملاذ آمن يبعد عنهم هم الدنيا وينسيهم الواقع المضني.. والنصف الآخر من الشباب سلب الإدمان أذهانهم فهم لا حول لهم ولا قوة.

كان سبب إدمانهم هو الفرار من الواقع فأصبحوا ضحايا لتجار المخدرات ومشافي العلاج.. ولكن رغم ذلك فقد وصل الخبر إلى المدينة وتحديدا إلى بيت العائلة.. الريح قامت بذلك.. أصيب البيت بالصدمة والذهول فهذا أول عرس يمرون به بهذا الموقف.. لقد سبق لهم أن أقاموا عدة أعراس مشتركة وغير مشتركة مرّت كلها بسلام.. لم يتدخل أحد في تخصص الآخر أو أموره الخاصة.. ولكن هذه المرة فقد كان كل شيء مختلفا.. كانوا ينتظرون عز الدين بفارغ الصبر.. الكل مشغول عليه ولا يدرون أين ذهب؟. حتى لاح لهم طيفه من بعيد.. لقد وصل منهكا بسبب الإجهاد الذي بذله أثناء إقامة مراسم الجنازة والانتهاء من دفن جثمان حبيبته الوهمي.

لقد حفر القبر بنفسه ودون مساعدة من أحد وتقبل العزاء بنفسه وقام بتعزية نفسه بنفسه.. كان هو حفار القبور وهو متلقي العزاء وهو المعزي.. مرت لحظات قاسية على العريس وهاهو يستعيد أنفاسه ويعود

إلى بيت العائلة وما أن وصل إلى شارعهم المغلق بالبراميل والسخانات العاطلة حتى لاح له عقد المصابيح الملونة الذي انتابه الحزن والهم خوفا من أن يزيلوه.. كانت المصابيحٍ تقول له لابد أن يتم عرسك في موعده فأجابها بأن الوقت قصير جداً إنها ثلاثة أيام فقط على الموعد.. سألته المصابيح عن سر الغدر فأجابها: إنها الرغبات الغزيرة فقاطعته: بل وجدت عنك بديلا.. ألم تقل لك عن خطيب طلب يدها قبل آخر لقاء عندما توقفتم بمفترق الكهرباء؟. لقد باعتك من أجله.

تقدم نحو البيت وما أن وصل إلى عتباته حتى وجد أهله وأقاربه كأنّ على رؤوسهم الطير فتبسم آمرا النساء بأن يزغردن.. وما أن سمعت النسوة الأمر حتى قمن بإصدار الزغاريد من حناجرهن رغم أنف الغدر والخيانة.. عند ذلك وقف عز الدين صامدا مثل الطود مخفيا الألم داخل أحشائه وهو يمسك أحد عقود المصابيح بعزيمته ثم استأذنهم للذهاب إلى شقته ليعيد الليلة الحاجيات التي أحضرتها العروس فشقته الطاهرة لن تكون مأوى للغدر.. قال ذلك بعدما توصل إلى قناعة كاملة أن هدف هذه الفتاة لم يكن الزواج وإنما وجدت فيه وسيلة لتحقيق الرغبات.. وعندما أزفت الآزفة حاولت أن تخلق له الصعوبات لينسحب وتفوز بما جادت به يداه.. ولكن تنكيدها لم ينتصر على حبه لها، لهذا بادرته بطعنتها ولكن بعد فوات الأوان فبطاقات الدعوة وزعت باسمها مما يجعلها منبوذة من قبل المجتمع فلن يطرق بابها إلا نذل أو غافل.. تذكر الحية التي تقاتل معها عند المنحل وأدرك أنها كانت أقل فتكا من الحية الآدمية التي لدغته منذ قليل.

[42]
نادي الهلال

انطلق عز الدين مسرعا إلى الشقة وفي الطريق عرج على سوق نادي الهلال على أمل أن يعثر على سيارة للإيجار من أجل نقل تلك الحاجيات فالوقت متأخر.. تذكر كلماتها: "عز الدين ما تعزقش الباكوات والشكاير ودسهن في المخزن بيش إذا حولنا من العمارة ما يتعبناش شيل الدبش".

ومن خلال تلك العبارة أحس أن الأمر مبيت وأن المناسبة كانت تمر بتمثيلية سخيفة.. وأن الطلبات الغزيرة والتدخلات الكثيفة كانت من أجل البحث عن وسيلة للإفساد.. ففي الوقت الذي كان فيه جادا، كان الطرف الآخر يسعى لتضييع وقته بالرغبات الغزيرة والاستدعاءات.. "لازم بكرة اتجيني في العمل يا عز الدين".. "عيد ميلادي بكرة يا عز الدين".. "نبيك ضروري يا عز الدين".. "نمشوا نحتفلوا في تيبستي يا عز الدين".. وكان عز الدين مشغولا جدا.

أخذت الذكريات تمر بذاكرته المتهرئة حتى وصل إلى نادي الهلال في وقت متأخر جدا حوالي الساعة العاشرة ليلا فوجد كل المحلات مغلقة.. وأخذ يبحث عن سيارة لنقل حاجياتها وبصعوبة بالغة عثر على واحدة.. فالوقت متأخر ومن عادة السائقين عدم السهر للاستيقاظ مبكرا.. اتفق مع السائق على السعر واستأجر عاملا لتنزيل الأغراض إلى أسفل وانطلق بسرعة البرق لإنجاز المهمة.

وصل إلى الشقة وأدخل السيارة إلى مدخل العمارة وبدأ العامل في التنفيذ.. أوصاه عز الدين بأن ينقل الأشياء بلطف وأعانته الجارات

بالعمارة على ترتيب أدوات المطبخ داخل الصناديق والأكياس التي أوصت العروس بالاحتفاظ بها داخل المخزن.. اكتشفت الجارات أن صناديق العروس تعج بأعداد مهولة من الصراصير الصغيرة وتعجبن كيف لم تنتبه العروس لذلك وحرصا منهن على الأمانة فقد قمن بترتيب الأدوات دون طرد الصراصير.

في الحقيقة وحتى لا نظلم العروس المسكينة فهي قد قامت بتنظيف صناديقها من الصراصير ورشها بالمبيد ولكن يبدو أن هناك بيضا أو يرقات صغيرة لم تنتبه لها وبعدما قامت بنقلها إلى شقة العريس تم فقس البيض إن كان هناك بيض.. وكبرت اليرقات إن كان هناك يرقات وأصبحت ملفتة للنظر.. في تلك الأثناء لمح عز الدين الصندوق الخاص بالنقال الذي اشتراه لها وكان خاليا فأخذه ووضعه مع حاجياتها إذ لا ضرورة لبقائه هنا.. انتهى العامل من تنزيل الصالون الأرضي المشمشي دون أن يصاب بأضرار.. بعد ذلك جال عز الدين في الشقة محدقا بالجدران المشمشية التي طلاها بناء على رغبتها، فأحس بصداع المشمش يهاجم رأسه من جديد ليبث فيه معزوفته المقيتة.. فحاول إزالة الطلاء بأظافره فلم يستطع وبعدما تم إنزال كل حاجياتها إلى الأسفل قام السائق بالاتصال عن طريق النقال بأحد زملائه لجلب سيارة أخرى.. وبالفعل حضر السائق الثاني وتم ملء سيارته بالحاجيات المشمشية وتوجهوا جميعا نحو بيت العروس بحي الصابري منطلقين من شقة عز الدين بمنطقة قاريونس بعد أن دفع

الأجرة لهما مقدما.. كان عز الدين يطارد سيارتي النقل أثناء مسيرهما السريع وفي كثير من الأحيان كانتا تضيعان منه بسبب الازدحام وجزر الدوران التي مرتا بها مثل جزيرتي دوران الفويهات والمدينة الرياضية، ولأنهما غريبان عنه فقد كانت عيناه حريصتين على متابعتهما حتى الوصول إلى بيت شيخة النجع.. تلك التي أرادت أن تحرق طاجينه فاحترقت فيه.. ولسان حاله يقول: "لتكن هذه آخر زيارة لي لها ولحيها".

طرق الباب بلطف كالعادة ففتحت له لبنى ابنة شقيقتها منال فطلب منها أن تنادي أحد أخوالها.. دخلت الصغيرة محرجة وأخبرتهم بذلك فلم يستطع أحد منهم الخروج لاستقبال الصهر المغدور به.. فخرج نيابة عن أصحاب البيت صهرهم زوج منال ويدعى محمود الذي من المفترض أن يكون عديله وكانت الصدمة والذهول بادية على وجهه.. لم يتمكن من معرفته لأنهما لم يسبق لهما الالتقاء.. وقد سأله والتأثر باد على ملامحه هل أنت عز الدين فأجابه نعم.. سأله ما الذي حدث بالضبط؟. فأجابه عز الدين: "وجيج صبايا".. ثم سلمهما السيارتين المحملتين وقد بدأ سائقاهما بإنزال الحاجيات المثيرة للجدل.. تلك الحاجيات التي أخرجتهن نجلاء من حجرتها فعادت إليها من جديد بعد عاصفة من الوعود الكاذبة والأحاديث غير البريئة والقبلات المخادعة.. بعد ذلك غادر عز الدين المكان مودعا ذكريات قضاها به وهو يعلم أن القدر لن يعيده إليه من جديد متذكرا عرضها السخي "أيش

رايك تاخذ أختي جمانة هي معجبة بيك واجد وديمة تدافع عنك حتى الحاجات اللي ترقي فيهن لي هي عندها عادي".. تذكر كل ذلك أثناء قفوله تاركا المكان بحثا عن هواء نظيف.. وما أن اختفى بيتها عن ناظريه حتى دعا الله أن ينسيه محنته.. فهذه الفتاة التي طالما خضعت له بالقول قد أفسدت عليه فرحته الكبرى.. حتى وإن حالفه الحظ واحتفل بعرس آخر فسوف لن يكون كأول عرس.. لأن العرس الأول في حياة الإنسان له لونه وله مذاقه الخاص به.. وعلى عز الدين أن يقذف بكل الذكريات السيئة قبل أن يتسنى له التفكير في تأسيس بيت جديد.

[43]
الورغان الأزرق

كانت المسافة بعيدة ولكن القدر قربها أكثر.. وصل إلى بيته منهكا متعبا وهو يتساءل: لماذا لم تغدر بي منذ مدة؟.. لماذا أخرت الغدر حتى السويعات الأخيرة؟.. لو فعلت ذلك باكرا لتلافيت الأمر ولكنها فعلت ذلك في وقت حرج جدا.. فبطاقات الدعوة تم توزيعها والأحباب والأصحاب والأقارب أخذوا يتوافدون لحضور العرس من كل مكان.. بحث عن الخطأ داخل نفسه فاكتشف أنه هو المخطئ.. إذ كيف يضع يده في يد رجال لا سلطان لهم على بناتهم؟. لماذا لم يسأل عنها واكتفى بكلمات زوج شقيقتها الأستاذ مجدي الذي دله عليها؟. لقد حاول تلبية رغباتها ولكنه عجز.. كانت رغباتها كقطع الليل المظلم وكان هو مفلسا أشبه بالمعدم.. سلك دربه وحيدا حتى وصل إلى بيت أهله فوجدهم مصممين على إتمام الزفاف.. قرروا أن يخطبوا له تلك

الليلة.. أما نجلاء فقد أصبحت أشبه بملكة لخلية نحل تعج بذكور لا تريد أن تموت.

الساعة الآن الواحدة ليلا والكل على أعصابه فهي ليلة أشبه بليلة سقوط غرناطة.. لقد وضعتهم نجلاء في موقف حرج جدا.. تلك الفتاة التي طالما ألحت عليه بأن يعجل موعد العرس هاهي اليوم تدمر كل شيء من أجل أمور تافهة لا تستحق.

كان ذلك ما يدور في بيت عز الدين أما بيت نجلاء فقد كان الوضع أسوأ.. لقد وضعت العروس أهلها الطيبين في وضع لا يحسدون عليه ومرّغت اسم عائلتها في الوحل المشمشي وفقدوا ثقة الناس بهم ولم يجدوا حيلة للتخلص من مأزقهم سوى أن يدّعوا بأن العريس هو الذي غدر بهم.. أما نجلاء فقد استلمت كل أشيائها حيث رُدّت بضاعتها إليها فقامت بترتيبها داخل حجرتها من جديد وأثناء تفحصها وجدت لحافا أزرق (ورغان) يخص عز الدين وصل بالخطأ مع حاجياتها فغلّته معتبرة إياه غنيمة حرب مسالمة وقامت بوضعه على سريرها ثم استلقت عليه متنفسة الصعداء وأخذت تتمرغ فوقه لتنسى التعب.. بعد ذلك أخرجت الهاتف المحمول الذي اشترته من حُرّ مال عز الدين واتصلت بصديقتها التي جلبت لها عريسا جديدا لتخبرها بآخر التطورات فلم تتمكن بسبب سوء التغطية.. ثم نظرت إلى الساعة التي أهداها لها عز الدين فوجدت الوقت متأخرا جدا.. قامت بفتح أحد أرفف خزانتها وأخذت رسائل عز الدين الأدبية وقصيدته التي كتبها عنها.. نظرت

إليها باشمئزاز ثم مزقتها وألقتها في سلة المهملات كأنها مشرفة صفحة ثقافية أميّة حيث مكانها الطبيعي.. ثم أمسكت بالبطاقة الشخصية التي استخرجها لها ووضعتها داخل حقيبة يدها وتمتمت داخل نفسها: "مسكين عز الدين قد أرهق نفسه عبثا".

بعد ذلك أخرجت باقة الزهور اليابسة التي سبق لعز الدين أن أهداها إياها وتوجهت بها إلى المطبخ حيث صندوق الزبالة ورمتها وهي تبتسم لنجاتها من ذلك الأبله الذي اعتقد أنها تحبه.. ثم انطلقت نحو الثلاجة وقامت بفتح بيت الثلج وأخرجت منه قلب عز الدين وانطلقت إلى حديقة المنزل حيث توجد المشواة.. وتوجهت بالفأس نحو شجرة المشمش اليابسة التي قتلها الغيظ منذ سنين وهوت بفأسها على أغصانها فتساقطت حطبا يبحث عن اشتعال.

جمعت حطب المشمشة وحملته على كتفها المليء بالآثام.. وتوجهت نحو المشواة حيث يوجد قلب عز الدين المليء بالحب ثم أوقدت النار ووضعت القلب الدامي على الجمر الملتهب وانتظرت طويلا حتى نضج ثم بدأت في أكله دون أن ترش عليه ملحا أو بهارات.. وبعد أن أتمت التهامه أصدرت عواء رهيبا أثار جلبة وما هي إلا لحظات حتى سُمع دوي عواء الذئاب يجوب المنطقة.. ثم بالت على النار لإخمادها وعادت لحجرتها واستلقت على الورغان المسلوب ومسحت فمها به لإزالة آثار الشواء وأخلدت للنوم.

حتى هذه اللحظات كان عز الدين يظن ببساطته أن الأسباب التافهة التي تعذرت بها نجلاء هي التي أفسدت ما شيدته أحلامهما وأن الحقيقة التي لا يزال يجهلها هي أن هناك وغدا دخل على الخط في اللحظات الأخيرة وتمكن من سلب عقل نجلاء برنين نقوده الجذابة.. حيث وعدها بأن يكتب باسمها شقة بشارع جمال عبد الناصر وأغرتها سيارته الفارهة التي اشتراها بـ 15 ألف دينار، فضربت بكل العهود والمواثيق عرض الحائط وظنت أنها عثرت على الرجل الذي سيبعد عنها بدفتر صكوكه السحري شبح الجوع والقحط للأبد.. أما عز الدين فقد تمكن الأطباء بعد جهود مضنية من زراعة قلب مصنوع من مادة بلاستيكية لا تعرف الحب، بدلا من قلبه الذي أكلته نجلاء.. مهمته ضخ الدماء عبر الأوردة بعد استلامها من الشرايين.

حدث كل ذلك في الليلة المشؤومة وقد أخفت نجلاء عن أهلها الهدايا والنقود التي تحصلت عليها منه ولم تخبرهم سوى بما كانوا على دراية به أو ما لا يشكل قيمة مادية ولا فائدة تعود عليها منه مثل كروت العرس الخاصة بها وصوره الشخصية التي ادعت أنها دائمة التقبيل لها وقد تفحصها فور استلامها فلم يجد بها أي أثر للقبل التي ادعت.. وقد بذل أهلها قصارى جهدهم من أجل إعادة ما يعلمون من أمواله إليه.. ولم يشأ أن يخبرهم بما أخفته عنهم معتبرا إياه صدقة لوجه الله.

[44]

هوى القيان

لم تكن نجلاء تدري أنها ستصبح سبة الدهر تلاحقها حشرجات القصائد في كل مكان.. فما وضعت صحونها على صحيفة لتتناول طعامها إلا ووجدت بها قصيدة هجاء مقذعة لعز الدين تصف خيانتها.. وما فتحت المذياع إلا وسمعت قصيدة تقرأ لعز الدين تلعن الساعة التي رآها فيها.. وحتى عندما تجلس للتلفزيون فإنها تجد قصائده تغنى من قبل أكبر المطربين.. وتنال الجوائز من أكبر البرامج التلفزيونية.. وقام البلوتوث بتسريب قصائده فصدحت المدينة عبر النقالات لتطاردها في كل مكان، فهذا الصنف هو الذي قصده أبو الطيب الوشاء عندما قال:

(اعلم أنه لم يُبتلَ أحدٌ من أهل المروءات والأدب، وأهل التظرُّف والأَرَب، ولا امتُحن سَراة الفتيان ببليّة هي أعظم من هوى القيان، لأن حبهن حب كذوبٌ، وعشقهن عشق مشوب، وهواهنّ منسوبٌ إلى الملل، ليس بثابتٍ ولا متّصلٍ، وإنما هو لطمعٍ وعرَضٍ، وهنّ سريعات الغرض، يُستدلّ على ذلك بأفعالهن الردية، وأخلاقهن السيئة، وأنهن لن يقصدن إلا أهل الشرف، ويُصدُفن عن ذوي الحسب، وأن محبّتهن تظهر ما ظهرت علامات اليسار والمال، وتنتقل عند الإفلاس والإقلال. وليس إظهارهن للمحبة مما ينعقد عليه منهن ذوو الآداب، ولا بما ينخدع به لهن ذوو الألباب. وكل ذلك منهن غرورٌ، وخداع وزور، ولا مرجع له ولا محصول، وإنما أمرهنّ عند ذوي الجهالة مجهول. وما رأيت لكثيرٍ من الأدباء الذين سلكوا سبيل التشبث بالنساء، رغبةً في تعشُّق الإماء، وقد أنشدني بعض الظرفاء:

ليس عشقُ الإماء من شكل مثلي
إنمـا يعشـق الإمــاء العبيـدُ
صِلْ، إذا ما وصلتَ، حُرّة قومٍ
قد حماها آباؤها والجدودُ

ومـن أدلّ الأشـياء علـى خُبث سرائر الإمـاء أن الواحدة منـهن، إذا رأت في مجلس فتىً لـه غنىً وكثرة مال، ويسار وحسن حـال، مالـت إليـه لتخدعه، وأقبلت عليه لتصرعه، ومنحتـه نظرها، وأبدتـه بصرها، وغمزتْـه بطَرْفها، وأشارت إليه بكفها، وغنّـت علـى كأساته، ومالـت إلـى مَرضاتـه، وشربت من فَضلة كأسه، وأومأت إلى تقبيل رأسـه، حتـى تُوقِـع المسكين في حبالـها، وترهقـه باحتيالـهـا، وتُعلّق قلبـه بحبهـا، وتُطعمـه من قربهـا، وتحويـه بلطـف تملُّقهـا، وتسـتبيه ببـديع تقنُّعهـا، وبـالمكر والخـداع، وتطلُّبهـا للاجتمـاع، وتباكيهـا لفرقتـه، وتحازنـهـا عنـد روحتـه، ثـم ترسـل بالرسل، وتُعاديه بالخَتل، وتخبره عن سهرها، وتُنبئـه عن فكرها، وتشكو إليـه القلـق وتُخبره بـالأرق، وتبعث إليـه بخاتمـهـا، وفضـلةٍ مـن شـعرها، وقُلامةٍ من ظفرها، وشظيّة من مِضرابها، وقطعةٍ من مِسواكها، ولُبانٍ قد جعلته عوضاً من قُبلتها، ومُضغةٍ لتخبره عن نكهتها، وكتـابٍ قد نمّقتـه بظَرفها، وطيّبته بكفها، وسَحته بوترٍ من عودها، ونقّطت عليـه قطراتٍ من دمعها، وختمته بغاليةٍ قد عُدّل بالعنبر متنها، واستمسك تحت الخاتم عجنهـا، وطبعت عليـه بفَصّ قد نقشت عليـه مداعبتها، وتمثّلت عليـه ببعض مَجانتهـا، وضمّنت الكتـاب شكوى شوق مـريضٍ، وصفة شوق ممرِّض، تسـأله المؤاتـاة علـى حبهـا، والإعانـة علـى كربهـا، وأن يبعث

يطلب زيارتها، لتقرّ بالنظر إليه عينها، وينفرج عنها حزنها، فيُطمع الغمز في قربها، ولا يشك في الكلام في إخلاص حبها، فيميل إليها بودّه، وتُصفيه بمكنون حبه، حتى إذا حوت عقله، وصارت شغله، واستمالت لبّه، وسلبت قلبه، وتمكّنت من قربه، ووثقت بصحيح حبه، وعلمت أنه غريقٌ في بحر البلية، أخذت في طلب الهدايا السرية، وتشهّت الثياب العَدَنية، والأزر النيسابورية، والأشقاق الأنجاجية، والأردية الرشيدية، والعمائم السوسية، والشكك الإبريسمية، والخفاف الرُّنانية، والنعال الكَنباتية، والحلق المحشوية، والعصائب المرصّعة، والدَّستينجات المفصّلة، وخواتيم الياقوت المُثمِنة، وتمارضت من غير سقم، وشكت من غير ألم، وفُصدت من غير علة وداء، وتعالجت من غير حاجة منها إلى الدواء، لتجيشها هدايا ذوي الوَجد، في المرض والفصد، من القُمُص المعنبَرة، والغلائل الممسَّكة، والأردية المرشوشة، واللخالخ المعجونة، ومخانق الكافور المنظومة، ومراسل القرنفل المخمّر، والمسك الأذفر، والعنبر الأشهب، والعود الهندي، والنَّدّ الخَزائني، والماورد الجوري، والحُملان الحَوْلية، والجداء الرُّضَّع، والبطّ الصيني، والفراريج الكسكرية، والدجاج الفائق، والفراخ المسمَّنة، والنبانيج المنضَّدة بأنواع الرياحين والفاكهة، يتبعها صنوفٌ من الشراب المعسَّل، والدوشاب المطبوخ والمشمَّس، ونبيذ السكر والقِشمِش، ثم الدنانير الجُدد الشهرية، والدراهم المسيَّفة الداريّة، في خرائط الديباج الإبريسَمية، ومناديل الوشي الأنجمية. فلا تزال في هدايا متواترة وألطاف

متتابعة، وفي خلال ذلك العيدان العَرْعر الموزونة، والمضارب المدهونة، والأوتار الصينية، حتى إذا نفذ اليسار، وذهب الإكثار، وأُتلف المال، وجاء الإقلال، وأحست بالإفلاس، وتفريغ الأكياس، أظهرت الملل، وأعلنت البدل، وتبرّمت بكلامه، وضجرت بسلامه، وطلبت عليه العلل، وتفقدت من الزلل، وتتبّعت عليه سقطاته، وتيمّمت عثراته، وأخذت في الجَفاء والعِتاب، والقِلى، والإبعاد، وصرفت عنها هواه، ومالت إلى سواه، ونفرت بعد القرب، وأبغضته بعد الحب، فحينئذ يُدرك المغرور الندم، ويلحقه الأسف، حين لا تغني عنه الحيلة ولا يُجدي عليه اللهف، ويقع بليت ولو وهيهات ولات حين مَناص، ولا يقدر على استئناف ما سلف من الأيام بعد الإشراف على ورود حياضِ الحِمام).

[45]
الزفاف

ولنتجاهل الماضي قليلا ونرجع إلى الحاضر الذي تضمخ بالغدر في اللحظات الأخيرة.. فقد وصل عز الدين إلى بيت أهله مدعيا عدم اهتمامه بكل ما حدث محاولا رفع معنوياتهم.. أخبرهم أن العرس سيقام في موعده ولكن بدون عروس.. في الصباح تذكر أن نجلاء تمتلك مفتاحا للشقة التي كان يروق لها أن تقول عنها شقتي، فتوجه مسرعا نحو محل "طبع المفاتيح" واشترى قفلا جديدا وعرج على ورشة الحدادة وطلب منهم تغيير قفل الباب.. كان خائفا أن ترتكب هذه الفتاة التي جلبتها له الشياطين حماقة ما.. وهو على يقين أن الله لم يخلصه منها

في اللحظات الأخيرة إلاّ لأنه يدخر له شيئاً أنقى وأطهر.. وأن نسله الطيب لن يبزغ للنور من رحم كهذه الرحم.

مرت الأيام الثلاثة بسلام ولم يعلم أي من المدعوين بما حدث.. ويوم حفل الزفاف بينما كان المدعوون داخل قاعة المناسبات بانتظار العروس فوجئوا بدخول العريس بمفرده وبكامل أناقته.. حيث استقبلهم بكل حفاوة وقام بقطع "التورتة" بمفرده وشرب العصير بمفرده.. على أنغام الموسيقى الرومانسية الهادئة.. ثم خرج والزغاريد في إثره.. وصعد سيارة الزفة.. نوع مرسيدس آخر موديل وقد زينت بالورود.. لقد صعدها وحيدا وهو يخفي داخل قلبه ألما لا يحس به سواه وانطلقت السيارة مسرعة دونما يدري إلى أين؟!!!.